المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
كلية اللغة العربيّة والدراسات الاجتماعيّة
الدراسات الأدبية

التناسب في سورة النور
دراسة أسلوبية
Proportionality In Surt al-Nour
A Stylistic Study

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في

(الدراسات الأدبية/ بلاغة)

إعداد الطالبة:
ضياء بنت عبدالرحمن بن محمد الحنايا
الرقم الجامعي: ٢٩١٨٠٠٠٣٤
إشراف:
الأستاذ الدكتور: السيد عبد السميع حسونة .
أستاذ البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية في جامعة القصيم.
١٤٣٦-١٤٣٧هـ/٢٠١٥-٢٠١٦

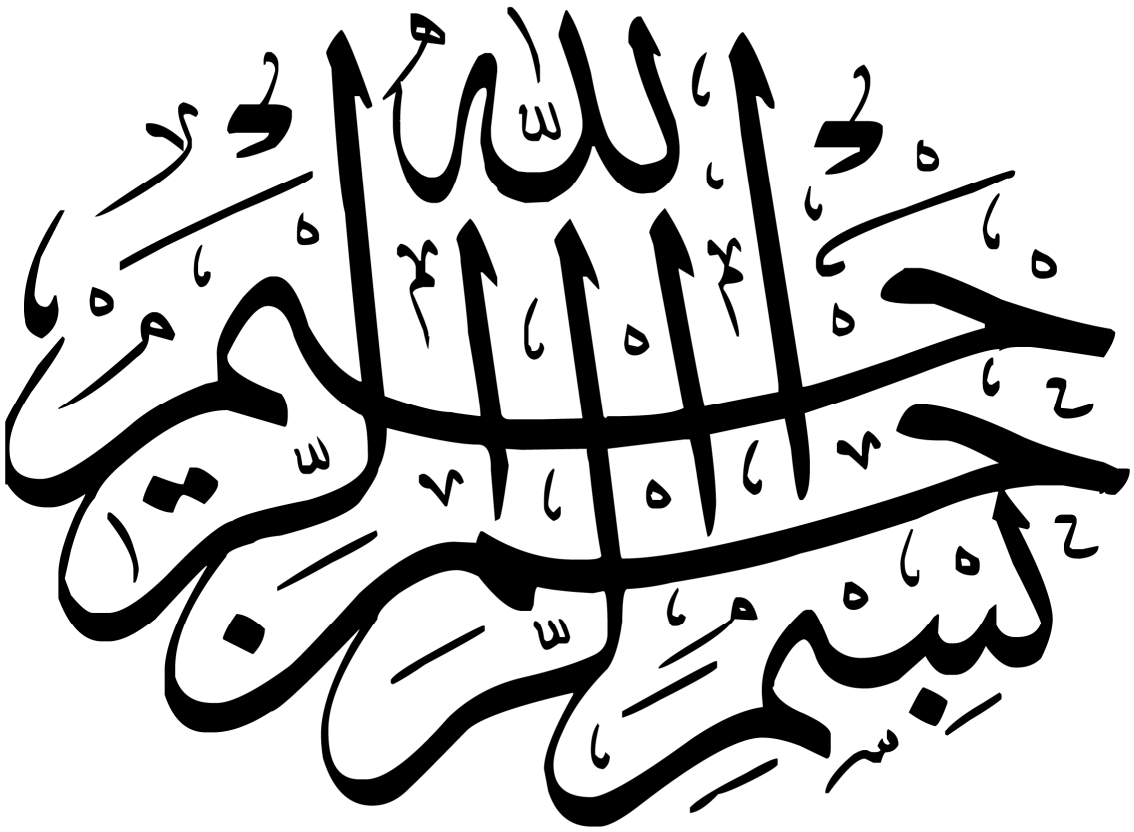
بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة القصيم
عمادة الدراسات العليا
كلية اللغة العربية والدِّراسات الاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها

التناسب في سورة النور دراسة أسلوبية

Proportionality in Surat Al-Nour A Stylistic Study

الباحثة / ضياء بنت عبدالرحمن بن محمد الحنايا

الرقم الجامعي: (٢٩١٨٠٠٠٣٤).

تمت الموافقة على قبول هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات

درجة الماجستير في الآداب قسم الدراسات الأدبية.

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة:

الاسم	المرتبة العلمية	الصفة	التوقيع
أ.د. السيد عبدالسميع حسونة	أستاذ	(مشرفًا ومقررًا)	
د. بدر بن علي المقبل	أستاذ مساعد	(مناقشًا خارجيًّا)	
د. مها بنت إبراهيم المشيطي	أستاذ مساعد	(مناقشًا داخليًّا)	

في يوم الأحد ١٤٣٧/٦/٢٥هـ الموافق: ٢٠١٦/٠٤/٠٣م

عنوان الرسالة :

التناسب في سورة النور دراسة أسلوبية

الباحثة : ضياء بنت عبدالرحمن بن محمد الحنايا

ملخص الرسالة:

الرسالة عبارة عن دراسة التناسب في سورة النور مع الاستنارة بالمنهج الأسلوبي متعاضداً مع أهم أراء علماء البلاغة، في نظرة تدمج بين الآراء التراثية والمعاصرة، مطبقة على النص القرآني، مع إشارات لنظرية التلقي في بعض فصول البحث.

تناولنا مفهوم التناسب وأبعاده الدلالية لسورة النور،ة مزدوجة بين كتب التراث، (عند أهم علماء البلاغة، والمفسرين، وعلماء الإعجاز)، ونظرة حديثة لأهم المفاهيم لمصطلح التناسب عن المعاصرين العرب، وفي بعض الكتب المترجمة.

ودرسنا السياق الخارجي لسورة النور متمثلاً بدراسة التناسب بين سورة النور وجارتيها ،بين الفواتح والخواتيم ، والتناسب بين أسم السورة وموضوعها .

ثم تناولنا التناسب بين موضوعات سورة النور ، وعلاقة البدء والختام فيها .

بعد ذلك بدأنا في الفصل الأول، في (مبحثه الأول) ببيان دور الألفاظ في التماسك والتناسب النصي في سورة النور ، من خلال مصطلح (الاختيار) حيث وقفنا على معظم الآيات التي ظهر فيها التناسب الداخلي أو الخارجي ،بالاعتماد على أهم كتب التفسير البلاغية ، و وكتب علوم القرآن ، ثم ختمت بنظرة كلية لأهم النتائج .

وعرجت (بالمبحث الثاني) من الفصل نفسه ، على التناسب في اختيار الجملة في سورة النور ، مبتدئة بمفهوم الانزياح ، مع تناول أهم الانزياحات ، على مستوى الترتيب المكاني سواء على المستوى النحوي ، أو على المستوى الدلالي _التقديم والتأخير، الحذف، (للمبتدأ والخبر ، والمفعول ، والمضاف ، وجواب الشرط)،القصر ،- ثم تناولت الانزياح الصرفي، و ختمت المبحث بدراسة الالتفات مع ذكر أهم صوره الواردة في سورة النور .

وختمت الفصل الأول بتناول :التناسب بين الجمل في سورة النور ، حيث تطرقت للتناسب في الفصل والوصل ، والإيجاز والإطناب في سورة النور .

ثم انتقلت إلى التناسب في أساليب التصوير الفني في سورة النور ، من خلال التشبيه ، والمجاز ، والانزياح الاستعاري ، والكنائي في السورة .

والإيقاع في السورة كان في (الفصل الثالث) حيث تناولت التناسب في الفاصلة القرآنية ،في سورة النور ، من حيث التماثل والتقارب مع الفاصلة المنفردة في السورة ، ثم عرجت على الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن وعلاقة ذلك بالايقاع ، وكان للصوت النون النصيب الأكبر في فاصلة السورة فتناولت التناسب الصوتي في سورة النور موضحة أهم النتائج التي خرجت بها في هذا المبحث .

بعد ذلك تناولت المحاكاة الصوتية في سورة النور ، مقتصرة على دراسة المطلع ، وآية النور ، وخاتمة السورة ، مبينة الأبعاد النفسية لدلالات الحروف وأثرها في تماسك النص .

وكان للقراءات أثر في التناسب في السورة ، فاخترت أهم القراءات التي تركت بعداً دلالياً في التماسك النصي للسورة .

وبعد النظرة التفصيلية في تناسب سورة النور ، وقفت على التناسب النصي بين سورة النور ، وبين سور القرآن الكريم ، حيث تناولت (التناص) في بعض الآيات القرآنية مع بيان نقاط الالتقاء والاختلاف في المعاني .

وكانت خاتمة البحث لأهم ما توصلت إليه من نتائج بحثية خلال دراسة التناسب في سورة النور ، مع ذكر بعض التوصيات على بعض الموضوعات التي استوقفني خلال مسيرتي البحثية .

المقـــدمـــــة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا،وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً دائمين إلى يوم الدين،أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،ولا يخلق على كثرة الرد،ولا تنقضي عجائبه،ولا تشبع منه العلماء،وكيف لا وهو مفصل على علم الله ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

والقرآن الكريم معجز ببلاغته،وبلاغته بحر زاخر متلاطم الأمواج،بعيد الأغوار،وهو كثير الدرر واللآلئ،غني بالجواهر والنفائس،ولن يستطيع غواص – مهما أوتي من المهارة– أن يستخرج جميع ما في أعماقه إلى أن تقوم الساعة،ويرث الله الأرض ومن عليها.

والتناسب وجه من أوجه البلاغة العربية؛ لأنه –كما يقول البقاعي –: "علم يعرف منه علل ترتيب أجزائه،وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة الكلام لما اقتضاه من الحال،وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السور المطلوب ذلك فيها،ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها،فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"[(١)] .

وتظهر أهمية علم المناسبة في دراسة الإعجاز القرآني لما يتطلبه هذا العلم من علوم متنوعة (اللغة– التفسير– القراءات) وتوظيف هذه العلوم في بيان خصائص النظم القرآني،وبيان سر اختيار ألفاظ القرآن وتراكيبه،وفي أوجه التناسب في اختيار كل عنصر من تلك العناصر،وفي وضعه موضعه المقدر له من السياق القريب والبعيد داخل إطار السورة وهيكلها المترابط الأجزاء.

ولهذا فإن علم المناسبة لا يتحقق في أعلى درجاته إلا في القرآن؛ لأنه النص الوحيد المتفرد بشمولية أوجه التناسب المتنوعة على درجة من الإعجاز.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م،ج ١،ص ١–٦، وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م،ج١،ص٦٢.

والتناسب يستلزم قدرة كبيرة من الباحث على التأمل والتذوق والتحليل والدراسة؛ لينقل مدار البحث في الإعجاز البلاغي من النظرة الجزئية إلى النظرة الكلية التي تحقق منهجاً جديداً في دراسة إعجاز القرآن وبديع نظمه،مما يجعل توظيف هذا العلم في دراسة النص القرآني ذا أهمية كبيرة،خاصة عند الإفادة من المناهج المعاصرة كالأسلوبية وتطبيقها على أبلغ نص وهو النص القرآني،وبيان بعض أوجه الإعجاز الأسلوبي والوحدة الموضوعية في ذلك النص.

أهمية الموضوع:

وهذه الدراسة محاولة متواضعة لمتابعة لما أشار إليه العلماء من ارتباط آي القرآن،واتساق معانيه،وانتظام مبانيه،وتعميق البحث في ذلك لإبراز ما أمكن من تلك الخصائص البيانية.

وآثرت أن يكون عنوان بحثي :(**التناسب في سورة النور دراسة أسلوبية**) وذلك :

أولاً: لأن مصطلح التناسب مصطلح بلاغي يحمل دلالة على حسن العلاقة القائمة بين الأجزاء والعناصر التي يتألف منها المقطع من الكلام أو السورة من القرآن.

ثانياً: لأن الدراسة تتناول أوجه التناسب المعنوي واللفظي والصوتي في البيان القرآني بطريقة تجمع بين التنظير والتطبيق.

ثالثاً: لأن التناسب في البيان القرآني موضوع دقيق وجليل في آن واحد،دقيق لأنه يبحث ويتناول وجهاً لطيفاً من أوجه بلاغة القرآن،وجليل لأنه متشعب يستلزم معرفة واسعة باللغة العربية وخصائصها المعجمية والصرفية والصوتية والتركيبية،وهذه معرفة تقتضي جمع علوم اللغة العربية كلها وفقهها.

كما تستلزم معرفة واسعة بالقرآن،وعلومه،وبلاغته،وخصائص أسلوبه،ويستلزم بالإضافة إلى كل ذلك قدرة كبيرة على التدبر والتذوق والتحليل.

أسباب اختيار الموضوع:

١- تعلق هذا الموضوع بكتاب الله تعالى الذي يستلزم منا دراسته وحفظه وإثراء الدراسات الكاشفة لإعجازه.

٢- أهمية علم التناسب فهو اللحمة القرآنية التي ربما تخفى على كثير من العلماء.

٣- ندرة الدراسات الأسلوبية الموظفة لعلم المناسبة مما شجع على فكرة الدراسة التي تعد تطبيقا لمنهج الأسلوبية في مفهوم التناسب في واحدة من سور القرآن الكريم هي سورة النور التي هي قبس من إشعاعات النور الرباني .

٤- تميز سورة النور بالأحكام والآداب التي تحمي كرامة الأسرة،وقيمة العرض،وتدعم جانب الشرف،وتفصّل ما ينبغي أن يلزمه المجتمع كي يحافظ على حرمات الله وحقوق الناس،وترسم للتقاليد الجنسية والاجتماعية صوراً دقيقة ألزمت المؤمنين بها،وهذا يمثل أشكالاً مختلفة من التناسب مما أعطى مكانا خصبا لتطبيق مفهوم التناسب البلاغي في القران الكريم،وبخاصة إذا طبق في ضوء الأسلوبية المعاصرة.

٥- محاولة الإفادة من المناهج الحديثة في الدراسات القرآنية وخاصة في علم المناسبة التي نفاها كثيرٌ من المستشرقين فيكون البحث بمثابة الحجة الداحضة لنفي كلامهم واثبات الوحدة الموضوعية المعجزة في القرآن الكريم .

أهداف دراسة الموضوع:

١- إبراز الوحدة الموضوعية في سور القرآن نفسه،وسورة النور خصوصاً؛ ذلك لأن علم المناسبة لا يتحقق في أعلى درجاته إلا في القران؛ لأنه النص الوحيد المتفرد بشموليه التناسب المتنوع على درجة من الإيجاز.

٢- الربط بين الدراسات البلاغية القديمة والدراسات المعاصرة كالأسلوبية في تناول النص وإبراز ما فيه من جوانب الإقناع والإمتاع،وهذا الهدف في حد ذاته لاتصل إليه إلا دراسة تتعمق في نظم القران.

٣- تأكيد الترابط والتلاحم الوثيق بين سور القران وآياتهوأسماء سوره وموضوعاته.

٤- الرد على مزاعم المشككين من المستشرقين وغيرهم بعدم ترابط أجزاء النص القرآني أو تماسكه.

هذا ولا أدعي أن بحثا واحدا قد يوفي هذا الوجه من بلاغة البيان القرآني حقه من الدرس والتحليل،لأن ما خص الله –تعالى- به كتابه المبين من الكمال في حسن البيان،يجعل كل من

يحاول دراسة وجه من بلاغته يخرج من محاولته بالإحساس بالتقصير والعجز عن الإحاطة بأسرار ذالك الوجه ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]

الدراسات السابقة للموضوع:

١- سورة النور دراسة وتحليل،إسماعيل إبراهيم علي السامرائي،الناشر:دار عمار للنشر والتوزيع٢٠٠٣م.

٢- سورة النور دراسة قرآنية موضوعية،عدنان بن أحمد بن إسماعيل البحيصي،

وهو بحث وتفسير تفصيلي لسورة النور،مع بيان الحلول لبعض مشكلات المجتمع من خلال سورة النور،ولم تمس الدراسة الجانب البلاغي من أية ناحية.

٣- الصورة البيانية في سورة النور،رسالة جامعية،جامعة الأمير عبدا لقادر بالجزائر،وظاهر من عنوان الرسالة أنها طبقت الجانب البياني على السورة فقط.

٤- أساليب عرض المعاني الاجتماعية في سورة النور:دراسة تحليلية،عبير بنت مطر بن سليم العمري،رسالة ماجستير،في البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي،كلية اللغة العربية ،جامعة الإمام بالرياض ، ١٤٣٤هـ وكانت هذه الدراسة عبارة عن عرض للأساليب المختصة في المعاني الاجتماعية دون التطرق للتناسب بين تلك الموضوعات وما يخدم الإعجاز التناسبي فيها؛ إذ إنها ركزت على أدب الإسلام المتمثل في السورة.

٥- الانسجام في القران الكريم(سورة النور أنموذجا)،نوال خلف،أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي،جامعة الجزائر،٢٠٠٦م، وقد طبقت الباحثة نظرية "فان دايك" والاعتماد على "دي بوجراند" في بحثه في العلاقات الرصفية والعلاقات المفهومية،والمقاييس النصية،والاعتماد على "جون ميشال أدام" في مسألة التقطيع والبنية العليا والسياق.

٦- التناسب البلاغي في سورة النور ،إعداد :بدر بن طاهر الطرقي العنزي ، رسالة ماجستير في البلاغة والنقد ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، عام ١٤٣٤هـ ١٤٣٥هـ.

وغيرها من الدراسات اللسانية المعاصرة،حيث جاءت الدراسة أقرب إلى البحث في لسانيات علم اللغة من البحث في مجال البلاغة وهذا يؤكد من أهمية البحث والعنوان الذي اخترته للدراسة.

منهجي في البحث:

أما المنهج المستخدم في الدراسة فهو المنهج الوصفي،وكون الدراسة "أسلوبية" فإنها سوف تضفي قوة تعبيرية للنص،مما يحدث نوعاً من الإثارة الأسلوبية في النص،وهو ما يعرف في الأسلوبية بـ "السياق الأسلوبي" الذي أشار إليه "ريفاتير" في كتابه: مقالات في علم الأسلوب البنيوي،الذي نشر سنة ١٩٧١م [(١)].

وهذا المنهج الأسلوبي يجلى مزايا النص القرآني من خلال الدراسة الأسلوبية،حيث تترابط أنواع التعبير وتتآزر لتحقيق الهدف الإقناعي والإمتاعي من خلال النظرة الكلية للنص،بخلاف الدراسة البلاغية القديمة التي ركزت على أشكال التعبير المختلفة بطريقة جزئية .

وعلى أية حال فإن المنهج الأسلوبي سيدفعنا من خلال الدراسة إلى الانتقال من السياق الأصغر إلى السياق الأكبر،أو بتعبير آخر من العمل في إطار الجملة،إلى العمل في إطار النص.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة :

وتشمل العناصر التالية:

١- التعريف بالموضوع .

٢- أهمية الموضوع.

٣- سبب اختيار الموضوع .

٤-أهداف الدراسة .

٥- الدراسات السابقة على الموضوع.

٦- منهج البحث.

٧- خطة البحث.

---

(١) ترجم د. شكري عياد مقالاً منه، (بعنوان: معايير التحليل الأسلوبي)، انظر كتابه :" اتجاهات البحث الأسلوبي" الناشر : مكتبة زهراء الشرق، الطبعة:الأولى، سنة ١٩٩٨ هـ، ص١٢٣.

التمهيد:

ويتناول البحث في التمهيد المحاور التالية:

أ-التناسب بين السورة وجارتيها.

ب- التناسب بين اسم السورة وموضوعاتها.

ج-التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.

وهذا التناسب يبرهن على الوحدة الموضوعية في السورة.

الفصل الأول:

وعنوانه التناسب الأسلوبي ودوره في تماسك النص، ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول :التناسب بين الألفاظ

المبحث الثاني :التناسب في اختيار الجملة

المبحث الثالث:التناسب بين الجمل

الفصل الثاني :

وعنوانه: التناسب في أساليب التصوير الفني من خلال عرض المشاهد والصور، ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول :الانزياح التشبيهي .

المبحث الثاني الانزياح المجازي .

المبحث الثالث:الانزياح الاستعاري .

المبحث الرابع :الانزياح الكنائي .

الفصل الثالث:

وعنوانه: التناسب الإيقاعي في السورة ويكون في مبحثين هما:

المبحث الأول : التناسب في الفواصل والأصوات والحروف والحركات .

المبحث الثاني: التناسب في توجيه القراءات الواردة في السورة .

الخاتمة:

لخصت فيها النتائج التي توصل إليها البحث .

التمهيد

لقد عنى القرآن الكريم بإحياء أمة وتنظيم مجتمع تسمو ضمائره،وترتفع أخلاقه وعقوله،فيؤمن إيماناً حقيقياً بتوحيد الله عز وجل،فضلاً عن أن سورة النور اعتنت بتحقيق هذا الهدف السامي،وتناولت أكثر من عشرين مسألة من مسائل الأدب والأخلاق والأحكام ،التي تبني لبنات مجتمع راقٍ وفق منظور إسلامي،كما عنيت بتربية الفرد والمجتمع من جميع النواحي النفسية والوجدانية والتربوية.

وتناسبت ألفاظ سورة النور مع وحدة موضوعها الذي نّظم العلاقة بين الرجال والنساء،وبين إلى أي مدى تجب مراعاة الحدود التي حددتها الشريعة،وعليه فإنه من الضروري أن نتناول مسيرة التناسب في التراث البلاغي العربي .

التناسب لغة واصطلاحا:

التناسب لغة: يعني التماثل والتشاكل،والمناسبة: المشاكلة[١]، وهذا في المجاز "و(تناسب) الشيئان تشاكلا والقوم إلى أحسابهم انتسبوا إليها،(التناسب) التشابه"[٢].

وفي الإصطلاح :" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[٣].

أولاً :التناسب عند المفسرين:

- ذكر الطبري (ت ٣١٠هـ)،في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)المناسبة، والمواطن التي يتحدث فيها- رحمه الله – عنها كثيرة، وإن لم يصرح بلفظ

(١) لسان العرب، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، الطبعة الأولى، الناشر : دار صادر بيروت، مادة :نسب .

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية دار النشر : دار الدعوة، ج ٢، ص٩١٦

(٣)البرهان في علوم القرآن ،محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة : الأولى،١٣٧٦هـ١٩٥٧م، ج ١، ص ٣٦.

التناسب،وأغلب كلامه في المناسبة بين الآيات فحسب،أو بين الآيات وواقع الدعوة،وربما دمج تفسير آيتين،ليبرز العلاقةَ بينهما[١].

- ونقل الزركشي ت٧٩٤هـ صاحب (البرهان في علوم القرآن) أن أول من أظهر ببغداد علم المناسبة هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري،"وكان غزير العلم في الشريعة والأدب،وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"[٢].
- ويأتي عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ): صاحب نظرية النظم،الذي يقول "معلومٌ أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض" [٣]ثم تحدث عن ترتيب المعاني " وأنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"[٤] ونظرية النظم هي التي مهدت الطريق للدارسين في التناسب .
- وطبق الزمخشري (٥٣٨هـ) في كشافه نظرية الجرجاني في النظم،وهو منذ البداية يؤكد في مقدمته: " أن القرآن أنزل كلاماً مؤلفا منظماً،ونزله بحسب المصالح منجماً،وجعله

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق:أحمد محمد شاكر، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، الناشر : مؤسسة الرسالة، ج١٩، ص ١٩٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٣٦.

(٣)دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق : د.محمد التنجي، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ١٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩.

بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً"[١]،فقد صرح بلفظ النظم في أكثر من موضع في تفسيره،حيث كان أولها في المقدمة [٢].

- وأوضح ابن العربي (٥٤٣هـ) أنّ "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المعاني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه بسورة البقرة،ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حَمَلة،ورأينا الخلق فيه بأوصاف البَطَلة،ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله،ورددناه إليه"[٣].
- ويكثر الفخر الرازي(٦٠٦هـ) في تفسيره مفاتيح الغيب:" من ذكر المناسبة سواء في ذلك الربط بين أجزاء الآية أو بين الآية والآية،أو بين المقاطع،وكذا بين ختام السورة ومطلعها،أو بين مطلع السورة وخاتمة السورة السابقة،فضلاً عن تنبهه لفكرة الوحدة الموضوعية في السورة،وكثيراً ما يبدأ الرازي تفسير الآية بقوله:" اعلم أنه سبحانه لما.."،ليربط الآية بما قبلها،وإذا لاحظ بينهما أكثر من وجه للارتباط والتناسب فإنه يقول:" اعلم أن في كيفية النظم وجهين:" أو "وجوهاً "،أو يقول:" اعلم أن اتصال هذه الآية بما قبلها من وجوه".

ولا يقف الرازي عند حد الوحدة الموضوعية للسورة،بل إنه ليؤكد الوحدة العضوية للقرآن الكريم جميعه،كما ذكر في بدايات تفسيره لسورة القيامة " أن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض"[٤].

---

(١)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج٣، ص ٤١.

(٢)المصدر نفسه، ج١، ص٤٣.

(٣)الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة : ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤ م، ج ٣، ص ٣٦٩.

(٤)مفاتيح الغيب، الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى،ج٣٠،ص١٨٩.

- ونقل الزركشي عن كمال الدين الزملكاني(٦٥١ هـ) ذكره في بعض دروسه،مناسبة استفتاح الإسراء بالتسبيح،والكهف بالحمد،ثم قال:" وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور،فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"[١].
- ويؤسس أبو جعفر بن الزبير (٧٠٨هـ)،لمن جاء بعده في كتابيه:" البرهان في تناسب سور القرآن"و"مِلاك التأويل"،فأما البرهان فقد خصصه لموضوعات السور والارتباط فيما بينها،وقد نقل البقاعي أغلبه في تفسيره مصرحاً بنسبة كلامه إليه،كما نقل عنه غير واحد من تلاميذه كصاحب البحر المحيط وصاحب التسهيل،والأول تابع أستاذه واقتفى أثره في الاهتمام والالتفات إلى موضوع التناسب[٢].
- ونقل السيوطي عن ولي الدين الملوي (٧٧٤هـ) في الإتقان قوله:" قد وهم من قال لا يطلب للآي الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً،فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة،ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة،ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم،وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له "[٣]، ونقل عن الملوي أيضاً- الزركشي- لكنه لم يصرح باسم الملوي وإنما قال: "قال بعض مشايخنا المحققين"،لكن البقاعيّ والسيوطيّ،أوردا ذات القول وحددا الاسم.
- ويلفت الإمام الشاطبي(٧٩٠هـ): إلى أهمية علم المناسبة في كتابه (الموافقات في أصول الشريعة)بقوله: "لا بد لفهم السورة على وجهها الصحيح من دراستها كلها إجمالاً،ورد أولها إلى آخرها،وآخرها إلى أولها،فإنها وإن اشتملت على قضايا متعددة،لكنها نازلة لهدف

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٣٩.

(٢)ينظر :نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج٥، ص ٢٣٠.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٣، ص٣٧٠.

واحد،وتندرج تحت مقصد واحد،فاعتبار جهة النظم مثلاً في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر،فالاقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود،كما أن الاقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما،لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها."[١].

- ويتحدث بدر الدين الزركشي(٧٩٤هـ) في كتابه:" البرهان في علوم القرآن" عن التناسب باعتباره واحداً من علوم القرآن حيث تحدث عن المناسبات بين الآيات،وأنواع ارتباط بعضها ببعض [٢].
- ويأتي برهان الدين البقاعي (٨٨٥هـ)ويبلور هذه القضية في تفسير المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"،حيث دأب البقاعي في نظم الدرر،أن يورد في بداية كل سورة مقصودها من خلال اسمها الدال على هذا المقصود حسب رأيه،ولا يكتفي بذلك وإنما يتحدث عن كل أوجه التناسب؛ داخل الآية،وبين الآيتين،وفيما بين مقاطع السورة،والتناسب بين ختام السورة وبدايتها فيما يسميه "رد المقطع على المطلع" بالنسبة للسورة،ثم بين السورة وجاراتها [٣].
- أما جلال الدين السيوطي (٩١١هـ): فقد نقل في (الإتقان)[٤]،و(معترك الأقران)[٥]،أغلب كلام الزركشي في (البرهان)،وللسيوطي أيضاً مؤلف في هذا الموضوع عنوانه :(تناسق الدرر في تناسب السور).

---

(١)التناسب في سورة البقرة، إعداد: الطالب طارق مصطفى محمد حميدة، إشراف:الدكتور حاتم جلال التميمي، بكالوريوس أصول الدين من الجامعة الأردنية، عمان، قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، عمادة الدراسات العليا، جامعة القدس،١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م،ص ٢٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٤٠، ٣٥.

(٣) ينظر :نظم الدرر، البقاعي، ج ٨، ص ٥٣٧.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ،ج٣،ص ٣٨٣.

(٥)ينظر:معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي ،ج١،ص ٥٥.

- وللإمام عبد الحميد الفراهي (١٣٤٩هـ) كتاب :(دلائل النظام)،وله تفسير لم يتمه أسماه: (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) وكان ممن تنبه لأهمية هذا العلم،ونوه بقيمته وشرفه،فقال:"المعترفون بوجود التناسب جعلوا التناسب علماً شريفاً،ولكن لم يجعلوه جزءاً عظيماً من مفهوم القرآن؛ ولذلك بقي متروكاً لإشكاله،وأما نحن فنقول: إن فهم القرآن محوّل إليه،والوجوه الكثيرة في التأويل،وعدم الاعتماد على تأويل صحيح إنما نشأ من عدم المعرفة بالنظام،فإنه هو المعتمد في صحيح التأويل ورفع الشكوك والحيرة"(١).
- وكان ممن نوه بهذا العلم،الدكتور محمد عبد الله دراز ت١٩٥٨م في كتابه (النبأ العظيم)(٢).
- ويجسد موضوع التناسب سيد قطب ت١٩٦٦م وذلك في كتابه: (التصوير الفني في القرآن)،وتفسيره: (في ظلال القرآن)،فقد خصص لموضوع "التناسق" فصلاً خاصاً في (التصوير الفني)،وتحدث في (الظلال) عن الوحدة الموضوعية في السورة،وشخصيتها المتميزة قائلاً: " وإن سياقة القصص في القرآن بهذا التنسيق في عرضه؛ وبهذا التناسق بينه وبين الموضوع الذي يساق فيه،ويستشهد بالقصص عليه؛ وبهذا التناسب بين أهداف القصص وأهداف السياق في السورة الواحدة"(٣).
- وللرافعي مساهمة فاعلة في الانسجام الصوتي في القرآن حيث ذكر في كتابه: (إعجاز القرآن)في سياق الحديث عن المفردة القرآنية فقال :" رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله ألحانا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم"(٤).

ثم تتابعت الدراسات والبحوث في التناسب،سواء بشكل عام أو بدراسة سورة واحدة ومن ذلك دراسة" الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم في كتابه: (الإعجاز البياني في ترتيب

(١) التناسب في سورة البقرة، طارق حميدة، ص ٢٩ .

(٢) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز، الناشر : دار القلم ،الكويت .

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥، ص ٢٥٥١ .

(٤) إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، ص ٢١٤.

آيات القرآن الكريم وسوره)،وهو في الأصل أطروحة المؤلف لنيل درجة الدكتوراه،من جامعة الأزهر عام ١٩٧١م.، تحدث فيها "[١].

وقد ذكر محمد الصديق الغماري الحسني،في كتابه: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن)،في مقدمته أنه أراد أن يبين في الكتاب" مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض حسب ترتيبها في المصحف الشريف".

والأستاذ سعيد حوى ربط في كتابه: (الأساس في التفسير) بين آيات المحاور في بعض السور ولو تباعدت هذه الآيات في موقعها في المصحف[٢].

وللدكتور: محمود البستاني كتاب تناول فيه جانب التناسب من ناحية تطبيقة وهو: (التفسير البنائي للقرآن الكريم)،"حيث تحدث عن عمارة السورة القرآنية،والخطوط والروابط في السورة الواحدة،والتحام البداية في الختام "[٣].

ثانياً :التناسب عند البلاغيين :

لقد تبنّى بعض النقاد والبلاغيين العرب،ومنهم: الجاحظ (ت٢٥٥هـ) وقدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)،هذا المصطلح البلاغي،بعد أن أدركوا أن النص يجب أن يكون وحدة كلية واحدة،وعبروا عن ذلك (بجودة السبك) وقد ذكروا بعض أسس التماسك والتناسب النصي،إذ تكلموا على قضية (اللفظ والمعنى). ففسّروا التناسب بأنَّه كلُّ ما يؤدي إلى الائتلاف والانسجام بين اللفظ والمعنى[٤].

ومن أكثر النقاد والبلاغيين اهتماما بـ(التناسب) :حازم القرطاجني إذ عدَّه أحد المعايير الرئيسة التي ينبغي أن يحتكم إليها في التمييز بين الشعراء وتفضيل بعضهم على بعض؛لأنَّ

---

(١) ينظر: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد يوسف القاسم، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢)الأساس في التفسير، سعيد حوى ،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد ٧ ،ص٣٦٨٢.

(٣)ينظر : التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ج ٣، ص ٢٧٢.

(٤)البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر،، ١٩٦٨تحقيق : المحامي فوزي عطوي، الناشر : دار صعب – بيروت، الطبعة الأولى، ج١، ص ٩٨ وما بعدها –بتصرف –، ونقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب ،قسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ، ص ٥٥.

الشاعرالمبدع هو ذلك الشاعر الذي له القدرة على اكتشاف التناسب وإذابة التنافر بين الأشياء،ليحقق (التخييل الشعري) أو التأثير في المتلقي،وأنَّ أفضل الشعر ما أوقع نِسبا فائقة بين معانيه وصوره[١].

ويعرِّف كلٌّ من الحلبي(٧٢٥هـ)،والنويري(٧٣٣هـ)،التناسب بأنّه: ترتيب المعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[٢].

ويظهر لي من خلال الأمثلة التي ضربها هؤلاء العلماء العلاقة الوثيقة بين المعنيين: اللغوي والاصطلاحي للتناسب،فالحلبي قد مثّل للتناسب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة:٢٦]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة:٢٧]

وعلى الرغم من أن التناسب القرآني اقترن –غالبا– بترتيب سور الكتاب العزيز،والتناسق بين النهايات والبدايات في السور التي تليها من جهة،وتناسق الآيات في كلِّ سورة من جهة أخرى،إلا إنَّ بعض العلماء والمفسرين قد نظر إليه على أنَّه الإعجاز البياني في القرآن الكريم،بكلِّ أنواعه ووجوهه،إذ جعله مشتملاً على أكثر من عشرة أنواع [٣].

---

(١) ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنّي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، ص ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٩٠، ٩١.

(٢)حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف:٢١٢،ونهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب والوثائق القومية، الطبعة الأولى ،١٤٢٣هـ، ج٧، ص ١٠٧

(٣)لعلَّ أبرزها:بيان مناسبات ترتيب سور الكتاب العزيز،وحكمة وضع كلِّ سورة منها،ومناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له،أو ما يسمّى بـ(براعة الاستهلال)،ومناسبات ترتيب آياته وارتباط بعضها ببعض وتلاحمها وتناسقها،وبيان أساليبه في البلاغة وتنويع خطاباته وسياقاته وبيان ما اشتمل عليه من ضروب المعاني والفنون البيانية والمحسنات البديعية،وبيان فواصل الآي ومناسبتها للآي التي ختمت بها،ومناسبة أسماء السور لها،وبيان اختيار ما يسمّى بـ(الكلمات المترادفة) دون سواها، ينظر: تناسق الدرر في تناسب السور، للإمام جلال الدين السيوطي، دارسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا:٥٤. وحُقق هذا =الكتاب تحقيقا آخر، بعنوان (ترتيب سور القرآن)، حققه: الدكتور السيد الجميلي، وطُبع في (دار الهلال، بيروت، ٢٠٠٠م). وعلل السيّد المحقق هذا التغيير في العنوان الأصلي للكتاب بأنّ العنوان الجديد هو(أنسب وأقرب للفهم)، ينظر: ص ٢٣. ووقفت على تحقيق حديث لهذا الكتاب، بعنوان(أسرار ترتيب سور القرآن)، حققه: رضى فرج الهمامي، وطبع في المطبعة العصرية، لبنان، ٢٠٠٧م. ١٤٢٨هـ، أي أن المحقق غير العنوان الأصلي للكتاب أيضا، على أنه: ((أنسب بالمسمى،

ومن ثمرات مصطلح التناسب الالتفات إلى الحكمة من ترتيب السور والآيات على الوجه الذي هو عليه،والاهتمام باستخراج المعاني والحكم ولطائف الفوائد،التي لا يتوصل إليها إلا بالتماس المناسبة بينها،ومعرفة وجوه الربط بين أنواع المناسبات.

ثالثاً:مصطلح التناسب عند علماء الإعجاز :

أما علماء الإعجاز فقد أجمعوا على أن التناسب من أوجه إعجاز القرآن،غير أن منهم من اهتم بالتناسب اللفظي،ومنهم من اهتم بالتناسب المعنوي[١]،ومن علماء الإعجاز الذين تحدثوا عن قيمة التناسب في البيان القرآني أبو بكر الباقلاني ت ٤٠٣هـ[٢]،وقد جعله من الخصائص التي خرج بها النظم القرآني عن المعهود من كلام البشر،قال: "ومنها انه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة،والتشابه في البراعة على هذا الطول... وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة"[٣].

وخلاصة القول إن علماء الإعجاز،وقبلهم الأدباء وعلماء البيان،مجمعون على أن مصطلح التناسب من أهم المصطلحات التي تبرز عناصر الجمال،وشروط الفصاحة في التعبير اللغوي وفي إعجاز القرآن الكريم.

فالتناسب-إذن- انطلاقاً من التحديدات المعجمية والاصطلاحية يعني : الاتصال بين شيئين اتصالاً يجعل الأول في أثر الثاني،والثاني متصلاً لا ينفك عن الأول حيث يشكلان معاً طريقاً مستقيماً،ويعني التناسب أيضاً المقاربة والمشاكلة بين شيئين مقاربة ومشاكلة تقوي الإرتباط وتحكمه فيصيران شيئاً واحداً،وبناءً محكماً لا تستطيع أن تفصل بين أجزائه،والتناسب أيضاً معيار لبلاغة النص القرآني وإعجازه،والتناسب والمناسبة والارتباط والإحتياك والتلازم والإعتلاق والإتحاد

وأزيد بالجناس))، انظر:ص:٧. وهذا ينافي أصول نشر النصوص وتحقيقها، والأولى أن يبقى العنوان كما وضعه صاحبه ؛ لإنه ينسجم مع منهج القدماء في وضع عناوين كتبهم، والتي تحتاج من أحد الدارسين المعاصرين تناول دراستها تحت عنوان: (بلاغة العنوان عند القدماء).

(١) التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم القرآني، أحمد ابو زيد، منشورات كلية الآداب في الرباط، مطبعة النجاح الجديدة في الدار البيضاء، ص٢ .

(٢) ينظر : إعجاز القرآن، ابوبكر الباقلاني، تحقيق أحمد صقر، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر١٩٥٤، ج ١، ص ٣٦ .

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص٣٦.

والاشتراك،والتشابه والالتئام،وشدة الاتصال والتواخي كلاً من الدواعي النصية التي ذكرها البلاغيون في كتبهم [١].

رابعاً :مصطلح التناسب عند المعاصرين :

بين الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني التناسب الدقيق في القرآن الكريم بقوله:" إن القرآن تقرؤه من أوله إلى آخره،فإذا هو محكم السرد،دقيق السبك،متين الأسلوب،قوي الاتصال،آخذٌ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله،يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه،كأنه سبيكةٌ واحدةٌ ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل،كأنه حلقةٌ مفرغة،أو كأنه سمطٌ وحيد وعقدٌ فريد يأخذ بالأبصار،نظمت حروفه وكلماته،ونسقت جمله وآياته،وجاء آخره مساوقاً لأوله،وبدا أوله مواتياً لآخره"[٢] ووافقه الشيخ محمد عبد الله دراز بقوله: "أجل إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً وأوزاعاً من المباني جمعت عفواً،فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسسٍوأصول،وأقيم على كل أصلٍ منها شعب وفصول،و امتد من كل شعبةٍ منها فروعٌ تقصر أو تطول،فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيانٍ واحدٍ قد وضع رسمه مرةً واحدةً،لا تحس بشيءٍ من تنافر الأوضاع في التقسيم والتنسيق،ولا بشيءٍ من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريقٍ،بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة،كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام،والالتحام،كل ذلك بغير تكلفٍ ولا استعانةٍ بأمرٍ من خارج المعاني أنفسها،إنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرضٍ ومقطعه وأثنائه يريك المنفصل متصلاً والمختلف مؤتلفاً"[٣].

خامساً :مصطلح التناسب في الدراسات المترجمة :

يعد مصطلح "coherence"أحد المصطلحات التي تباينت فيها أراء الدارسين،من حيث الدقة في مقابل المعنى العربي،ما بين انسجام،وتناسب،وحبك،وهذا اختلاف معهود عند انتقال المصطلحات العلمية مترجمة إلى العربية،فقد ترجمه محمد خطابي إلى الاتساق [٤] وترجمه تمام حسان إلى

---

(١)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق :علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ،بيروت ،ج١، ص ٤٤٥ .

(٢) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز، ص ٩٨.

(٣) النبأ العظيم، ص ٩٩.

(٤) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، الطبعة الثانية، الناشر : المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، ص ٦، ٥.

السبك [١] في حين تترجمه إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد إلى التضام،[٢] أما عمر عطاري فيترجمه إلى الترابط،[٣].

ويترجمه عبد القادر قنيني إلى الإلتئام،[٤] أما أحمد عفيفي فقد ترجمه إلى مصطلحات معطوفة ب(أو) وهي :الحبك أو التماسك أو الانسجام،أو الاتساق،[٥]ويرى سعد مصلوح حين ترجم المصطلح ب الحبك [٦]، ولعلنا نتبع صلاح فضل في أن التماسك "خاصية دلالية للخطاب تعتمد تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقاتها بما يُفهم من الجمل الأخرى "[٧] ويرى أيضاً أن التماسك هو ملاحظة التعالق والترابط بين الأبنية الصغرى، والبنية الكبرى "[٨]

وبعد هذه اللمحة الخاطفة عن التناسب عند علماء البلاغة والإعجاز من القدماء والمعاصرين يأتي دور الحديث عن أوجه التناسب لسورة النور .

(١) النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ترجمة د. تمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٠٣ .

(٢) مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند،وولفانج دريسلر) ترجمة : إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ١١.

(٣) الخطاب والمترجم، باسل حاتم،وإيان ميسون، ترجمة :د عمر فايز عطاري، الطبعة الأولى، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م، ص ٣٣٢.

(٤) النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)فان دايك، ترجمة : عبدالقادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء –بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٩٧.

(٥)نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، الطبعة الأولى، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٩٠.

(٦) نحو أجرومية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية) سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العدد الاول والثاني، ١٩٩١م، ص ١٥٤.

(٧) بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٢م،ص ٢٦٣.

(٨) المصدر نفسه ،ص ٢٦٦.

التناسب بين السورة وجارتيها:

أولا: التناسب بين سورتي النور والمؤمنون:

من يعمل فكره،ويطيل النظر والتأمل في سورة النور وجارتيها القبلية والبعدية يلحظ العلاقة القوية بينها وبين سابقتها ولا حقتها من أكثر من وجه،إذ تتصل سورة المؤمنون بسورة النور اتصالاً قوياً،"ووجه اتصالها بسورة قد أفلح،كما ذكر السيوطي أنه لما قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾[المؤمنون:٥] ذكر في هذه أحكام من لم يحفظ فرجه،من الزانية والزاني،وما اتصل بذلك من شأن القذف،وقصة الإفك،والأمر بغض البصر،وأمر فيها بالنكاح حفظًا للفروج،وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف،وحفظ فرجه،ونهى عن إكراه الفتيات على الزنا ولا ارتباط أحسن من هذا الارتباط،ولا تناسق أبدع من هذا النسق"[(١)].

وقد ذكر الشعراوي في تفسيره: "فهذا بيان قدرته تعالى وعلمه والعجيب أن تأتي هذه السورة بعد سورة (المؤمنون) التي قال الله في أولها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾[المؤمنون:١] ثم ذكر من هؤلاء المؤمنين المفلحين﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾[المؤمنون:٥] وهنا قال: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[النور:٢]فجاء بالمقابل للذين هم لفروجهم حافظون"[(٢)]، ومن القرائن الدالة على ارتباط سورة النور بسورة المؤمنون قوله تعالى:﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ۝١١٥﴾[المؤمنون:١١٥]

ثم بدأ بسورة النور بذكر الأحكام التي تثبت أنهم لم يخلقوا سدى بل لتكاليف تقيدهم بها،وترفع عنهم التنازع،وتحبس مادة الشر عنهم وتنير دروبهم الاجتماعية في الدنيا والثواب في الآخرة.

---

(١) أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، الناشر دار الاعتصام – القاهرة، ج١، ص ١١٨.

(٢) تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطبعة دار القلم، ص ٢٧٦٧.

و لما أجمل الله تعالى في سورة المؤمنون بقوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون:٦٣] كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم "بغايا يستحسنون عملهن ويأكلون من كسبهن الحاصل من الزنا فأنزل الله أول سورة النور تغليظاً لأمر الزنا"[1] فحياة المجتمع ونشر الفضيلة ونبذ الرذيلة لم يكن موضوعا اختصت به سورة النور وحدها ولكن القرآن كله دعوة إلى الحياة الفاضلة للبشرية في الدنيا والآخرة.

وإذا كانت سورة المؤمنون ختمت بقوله ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [المؤمنون:١١٨] ثم أردف الله تعالى في سورة النور أصل كل رحمة نصت عليها (المؤمنون).

ثانيا: التناسب بين سورتي النور والفرقان:

وتتناسب سورة النور مع سورة الفرقان،ويقوم الترابط بينهما على أساس متين،ويبدو لي ذلك من خلال ختمه سبحانه سورة الفرقان بسعة الملك، وشمول العلم،والتهديد بمن تجاوز الحد،في قوله تعالى في سورة الفرقان ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١] والفعل تبارك مختص بالله عز وجل .

ثم أردفه بقوله: و﴿ نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾وكأن ذلك يتناسب مع ما طرح من مشكلات وآداب في السورة التي سبقتها،فهو أعلم بأحوال عباده،وما يصلحهم في مجتمعاتهم ويضمن لهم السعادة الدنيوية والأخروية؛ وذلك لأن سورة الفرقان هي عبارة عن إيناس للرسول –صلى الله عليه وسلم– وأمته بشكل عام،بعد شدة الأحكام التي وردت في سورة النور إذ تصور هذه السورة حال البشرية المعاندة المشاقة لشرع الله تعالى وأن الالتزام بشرع الله وأوامره ونواهيه لن يكون هو حال استجابة كل الناس بل هناك صنف معاند ومتعنت ومشاق وجانح عن الهدي المبين فهي بمثابة العزاء

(١)تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية – لبنان، بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل، الطبعة : الأولى، ج٦، ص ٣٩٢.

للنبيﷺ[١] ،كما تصور سورة الفرقان أن ما ورد من الأحكام والآداب والأخلاق في سورة النور إنما هو فرقان بين عهدين: جاهلية وانحطاط وظلامونور وهداية وصلاح ورشد في الدارين.

و توحي السورة كذلك بأن الدين الإسلامي والأخلاق القرآنية والآداب الاجتماعية فيه إنما هي أخلاق،ورسالة عالمية في كل زمان ومكان،ما ألتزم به مجتمع إلا تطهر من الدنائس ورقى لأفضل المجتمعات والواقع يشهد بذلك قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١].

ثانياً:التناسب بين اسم السورة وموضوعاتها

سميت هذه السورة بسورة (النور) وهذا الاسم قد أجمع عليه العلماء وهو توقيفي،والمتأمل لاسم السورة يجده متناسباً مع موضوعاتها بل إن بعض العلماء[٢] أشار إلى أنها جمعت معاني النور التي ذكرت في القرآن الكريم الدنيوي والأخروي.

فالنور –كما قال الشيخ الشعراوي– في تفسيره" اسمها سورة (النور)،وإذا استقرانا موضوع المسمَّى أو المعْنون له بسورة (النور) تجد النور شائعاً في كل أعطافها – لا أقول آياتها ولا أقول كلماتها – ولكن النور شائع في كل حروفها"[٣] ،وقد يكون سبب تسمية هذه السورة بالنور أن فيها آية النور ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾ [النور:٣٥]

إلا إننا إذا استقرأنا موضوعاتها نجد معاني النور مشتملة على كل موضوعاتها الدنيوي منها والأخروي الحسي منها والمعنوي،والنور اسم من أسماء الله،يقول البقاعي" مقصودها مدلول اسمها

---

(١)هذه السورة المكية تبدو كلها وكأنها إيناس لرسول الله ﷺوتسرية، وتطمين له وتقوية وهو يواجه مشركي قريش، وعنادهم له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، وجدالهم بالباطل، ووقوفهم في وجه الهدي وصدهم عنه، فهي في لمحة منها تصور الإيناس اللطيف الذي يحيط به الله عبده ورسوله؛ وكأنما يمسح على آلامه ومتاعبه مسحا رفيقا؛ ويهدهد قلبه، ويفيض عليه من الثقة والطمأنينة، وينسم عليه من أنسام الرعاية واللطف والمودة ."ينظر :في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥، ص ٢٥٤٤.

(٢)نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٢٩.

(٣) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ص ٢٧٦٧.

المودع قلبها المراد منه أنه تعالى شامل العلم،اللازم منه تمام القدرة،اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة،اللازم منه تأكيد الشرف للنبي ﷺ،اللازم منه شرف من اختاره لصحبته على منازل قربهم منه واختصاصهم به،اللازم منه غاية النزاهة والشرف والطهارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي مات النبي ﷺ وهو عنها راض،وماتت هي رضي الله عنها صالحة محسنة،وهذا هو المقصود بالذات ولكن إثباته محتاج إلى تلك المقدمات " [١].

إن هذه السورة جمعت بين الشدة والرقة،فهي شديدة في بيان الأحكاموالآداب التربوية باستخدام الوسائل إلى درجة الحدود،ورقيقة باللمسات الوجدانية التي تصل القلب بنور الله تعالى وبآياته المبثوثة في تضاعيف الكون وثنايا الحياة. والهدف واحد في الشدة واللين،هو تربية الضمائر،واستجاشة المشاعر ورفع المقاييس الأخلاقية للحياة،حتى تشف وترف،وتتصل بنور اللّه،وتتداخل الآداب النفسية الفردية،وآداب البيت والأسرة،وآداب الأمة والقيادة،بوصفها نابعة كلها من معين واحد هو العقيدة في اللّه،متصلة كلها بنور واحد هو نور اللّه،وهي في صميمها نور وشفافية،وإشراق وطهارة،تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السماوات والأرض،نور اللّه الذي أشرقت به الظلمات في السماوات والأرض،والقلوب والضمائر،والنفوس والأرواح.

وكل ما في هذه السورة المباركة خاصة من أحكام وحدود وآداب وأخلاق وأوامر ونواه ومواعظ وقصص الآخرين هي مستمرة من نور الله تعالى ولهذا تناسب الاسم مع الموضوعات المطروحة في هذه السورة،يقول ابن عاشور" ووجه التسمية أن فيها آية: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾" [٢].

وهذا ما يتصل ويتناسب واسم السورة مع الذات الإلهية أما ما يتصل بآثار هذا النور فهو كما يقول صاحب الضلال: "يذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة.

فهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية،تنير القلب،وتنير الحياة ويربطها بذلك النور الكوني الشامل أنها نور في الأرواح،وإشراق في القلوب،وشفافية في الضمائر،مستمدة كلها من

(١) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٢٩.

(٢) التحرير والتنوير، محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : مؤسسة التاريخ العربي،بيروت،لبنان الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج ١٨، ص ١١٢.

ذلك النور الرباني الكبير "[1] ،فإنه بذلك قسم لنا تناسب اسم السورة مع موضوعاتها إلى أمور مادية ومعنوية.

تناسب اسم السورة مع موضوعاتها إلى قسمين :

الأول : تناسب اسم السورة مع موضوعاتها المعنوية:

١-أن السورة هي إشعاع من نور الله تعالى الذي يتغلغل إلى النفوس المؤمنة فيربيها ويطهرها وينقي غرائزها ويحفظ أعراضها.

٢ - تعليق القلوب بخالقها وباريها كما في قوله تعالى :﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور:٣٦]

فهو يرسخ العقائد ويقوي أواصر الإيمان ويكرسها في النفوس وتتعلق بما عند الله من نعيم بعدما استنارت قلوبهم بأنوار الهداية وانسلخت عنها عتمة الظلام.

أما من حاد عن هذا النور ورفضه وجعل على قلبه حجاباً مانعاً لهذا النور تبين هذه السورة أعمالهم ومآلهم الأخروي: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور:٣٩] لأنهم لم يستجيبوا للنور الإلهي،وآثروا التخبط في الظلمات.

٣ــ نور البراءة لأم المؤمنين -رضوان الله عليها- بعد أن ظن فيها من ظن،وكذلك تربية المؤمنين على التبيُّن عند أخذ الأخبار فلا بد من البحث عن نور الحقيقة في كل أخبار واردة لم تقع عليها العين ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور:١١].

الثاني :تناسب اسم السورة مع الموضوعات المادية:

١-نظمت العلاقات الجنسية بين الناس حيث بينت حد الزنا وتفظيع هذه الفعلة،وأثبتت مكانة الزناة وحد القذف والملاعنة ومشاكلة الخبيثين للخبيثات.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٤٨٥ .

٢-وضحت وسائل الإغراء والغواية حتى يتجنبها المجتمع.

٣-بينت آداب الاستئذان،وآداب الزينة عند المحارم،والحض على النكاح والتحذير من دفع الفتيات إلى البغاء.

٤-أثبتت هذه السورة آداب الضيافة في البيوت وبين الأقارب والأصدقاء.

٥-بينت كيفية تعامل الأمة مع مربيها - صلى الله عليه وسلم- ولم يقتصر هذا النور وآثاره على النطاق البشري بل امتد إلى الكون بما فيه من تسبيح الخلائق كلها وإزجاء السحاب وتقليب الليل والنهار،وخلق كل دابة من ماء ثم اختلاف أشكالها ووظائفها وأنواعها وأجناسها مما هو معروض على صفحة الكون للبصائر والأبصار.

كل ما سبق يمكن أن يكون بمثابة مشاعل من نور يضيء المجتمع ويرتقي به من مراتب الضياع والدونية الحيوانية إلى فلاح وفوز دنيوي وأخروي،فمتى ما التزم المجتمع بالحدود والأوامر والنواهي ونفذ شرائع الله،فسوف يتمكن فيه نور التقوى ونور الله تعالى،كما في قوله:﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]

التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها:

لقد افتتحت سورة النور باستهلال خاص،ومجموعة من الآداب والحدود؛ والأوامر والنواهي،وختمت بقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤]

فالأمران متلازمان في الحقيقة،فهو الخالق وصاحب السلطان وله حق التشريع لمن خلقهم،فبعد آيات الأحكام تعقبها آيات في إثبات حكم الله تعالى وسلطانه —سبحانه وحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام،وتنبيه للناس بأن يعوا هذه الأحكام ويطبقوها فهو يجازي عباده بما يستحقون وهو عالم بما يفعلون ،قال السيوطي " ما كان قوم قط على أمر ولا على حال إلا كانوا

بعين الله وإلا كان عليهم شاهد من الله "[١]، أما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٦٤﴾ [النور:٦٤] فهو تذييل لما ذكر في ثنايا السورة من أحوال المنافقين وما يستترون من نفاقهم ،وختم السورة بهذه الآية يعلق القلوب بالله تعالى ويذكرها بخشيته وتقواه،فهو الحارس لتلك الأوامر والنواهي وهذه الآداب التي فرضها الله في هذه السورة وجعلها كلها سواء،وليعدوا لكل سؤال جوابا لأن علمه،لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها،فعلمه محيط بكل شيء وبكل زمن ؛ لذلك آثر استعمال المضارع في: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ﴾وبذلك يكون قد رد الختام على المبدأ والتحم الأول بالأخير،يقول ابن عاشور: " تذييل لما تقدم في هذه السورة كلها. وافتتاحه بحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام وتنبيه للناس ليعوا ما يرد بعد حرف التنبيه،وهو أن الله مالك ما في السماوات والأرض،فهو يجازي عباده بما يستحقون وهو عالم بما يفعلون"[٢].

(١) الدر المنثور، المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الناشر : دار الفكر – بيروت، ١٩٩٣م، ج٦، ص ٢٣٣.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢٥٠.

الفصل الأول :

التناسب الأسلوبي في سورة النور ودوره في تماسك النص

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التناسب في اختيار الألفاظ .

المبحث الثاني : التناسب بين الجملة في سورة النور .

المبحث الثالث : التناسب بين الجمل في سورة النور .

(المبحث الأول)

التناسب في اختيار الألفاظ :

لقد أشار غير واحد من علماء البلاغة والإعجاز القرآني إلى ما تميز به الأسلوب القرآني من إعجاز في اختيار مفرداته وألفاظه،فالجاحظ تحدث عن اختيار الألفاظ وعلاقتها بنظم الكلام،وضرب مثلا على ذلك من كتاب الله تعالى،حيث إنه هو نص معجز في قوله: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألا ترى آن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القران الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة "[١].

أما اختيار الألفاظ وجعلها في موضعها الأخص الأنسب فهذا هو عمود البلاغة والإعجاز في نظم القرآن عند الخطابي،يقول: "اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات وهو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا بدل مكان غيره الذي جاء منه: إما تبدل في المعنى الذي يكون منه فساد الكلام،وإما ذهب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة،ذلك أن الكلام ألفاظاً متقاربة المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة وبيان مراد الخطاب كالعلم والمعرفة والحمد والشكر و.....والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها،وإن كانا قد تشتركان في بعضها "[٢] .

---

(١) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، الطبعة١، ١٩٦٨ دار صعب، بيروت، ج ١ ص ٢٦.

(٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عيها: محمد خلف اللهود. محمد زغلول سلام الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، ص ٢٩.

أما علم البيان فهو وجه من أوجه الإعجاز إذ أفرد الباقلاني له فصلاً أشار فيه إلى فائدته،و وضع كل لفظه في مكانها المناسب فقال: " واعلم أن هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر،وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح في موضع الفجر يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعرا أو سجعا وليس كذلك فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجاراتها وتراها في مظانها وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها وتجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار ومرمى شراد ونابية عن استقرار "[١].

يقول أحمد حسن الزيات،عندما يعرف الأسلوب: " بأنه طريقة الكاتب أو الشاعر الخاصة في اختيار الألفاظ وتأليف الكلام،وهذه الطريقة فضلاً عن اختلافها في الكتاب والشعراء،تختلف في الكاتب أو الشاعر نفسه باختلاف الفن الذي يعالجه،والموضوع الذي يكتبه،والشخص الذي يتكلم بلسانه،أو أو يتكلم عنه "[٢]تلك جملة من الإشارات والملاحظات التي أشار إليها العلماء في هذا المجال إلا أن معظمها إشارات ذات حكم عام ونظرة جزئية.

وسأحاول جاهدة قدر الاستطاعة إبراز ما يراعيه القرآن الكريم من تناسب في اختيار الألفاظ واستعمالها من خلال سياق النص القرآني في سورة النور، وسيأتي ذلك في ثلاثة مقاطع:

وقد قسمت السورة إلى ثلاثة مقاطع،محتذية بذلك منهج الأستاذ: سعيد حوى[٣] في تقسيمه لسورة النور،ثم قسمت المقاطع إلى موضوعات تترابط مع بعضها؛ ليظهر لي التناسب في روح السورة من بين الألفاظ والجمل .

المقطع الأول: من الآية ١- ٣٤

---

(١) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف – القاهرة، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م.الناشر :دار المسيرة، الأردن –عمان – ص ١٦٥.

(٣) الأساس في التفسير، سعيد حوى،المجلد السابع ،ص ٣٦٧٩.

المقطع الثاني: من الآية ٣٥-٤٦

المقطع الثالث: من الآية ٤٧-٦٤

المقطع الأول:

من الآية ١-٣٤

١-براعة الاستهلال :

فقد بدأت السورة بقوله تعالى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النور: ١]

فقد بدأت السورة ب(سورة)،وسورة في لغة العرب "والسُّورَةُ المنزلة والجمع سُوَرٌ وسُوْرٌ الأَخيرة عن كراع والسُّورَةُ من البناء ما حَسُنَ وطال الجوهري والسُّوْرُ جمع سُورَة مثل بُسْرَة وبُسْرٍ وهي كل منزلة من البناء ومنه سُورَةُ القرآن "[١] "و هو اسم جامع للجنس فإذا أَردنا معرفة الواحدة من التمر قلنا تمرة وكلُّ منزلة رفيعة فهي سُورَةٌ مأْخوذة من سُورَةِ البناء [٢]" وهذه الكلمة لم تخرج عن معناها اللغوي بل زادت عليها بتنكيرها الذي أفضى عليها العظمة كما أورد البقاعي بقوله: "أي عظمة"[٣] فتنكيرها أفضى عليها التفخيم والتعظيم والتميز مقارنة بمطلع أي سورة أخرى من سور القرآن.

فضلاً عن ذلك فإنها كسور المدينة الذي يحمي المجتمع بالأدب،والحدود،والأحكام الواردة فيها،يحميه من سبل الزيغ والفساد التي تنتج عن العلاقات الفاسدة والفوضوية التي لا يحكمها شرع.

(١)لسان العرب، تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى،مادة :سور.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨٤.

(٣)نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٢٩.

ثم أكد سبحانه عظمتها بقوله:﴿أَنزَلْنَاهَا﴾ والإنزال كما في لغة العرب "هو نقل الشيء من الأعلى إلى الأسفل،ويطلق العلو مجازا في الأمور المعنوية،فهو علو مكان وعلو مكانه"[١]،فهذا الإنزال يشعر بخصوصية هذه السورة وعلوها،مع أن القرآن كله منزل من عند الله تعالى ولذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر:٩]"

وقد ذهب جماعة بأن استعمال ﴿أنزل﴾ يفيد التدرج،والتكرار وأن الإنزال عام،وقيل أن ذلك هو الأكثر "[٢] وهذا اللفظ كان أنسب في تتدرج الأحكام والآداب وتتدرج قبولها وتطبيقه في المجتمع .

وفي اختيار قوله تعالى: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ قال ابن منظور فيها "وقوله تعالى سُورةٌ أَنْزَلْناها وفَرَضْناها ويقرأ وفرَّضْناها فمن قرأَ بالتخفيف فمعناه أَلزَمْنا كم العَمل بما فُرِضَ فيها ومن قرأَ بالتشديد فعلى وجهين أَحدهما على معنى التكثير على معنى إِنا فرضنا فيها فُرُوضاً وعلى معنى بَيَّنَّا وفَصَّلْنا ما فيها من الحلال والحرام والحدُود" [٣].

والمقصود باللفظة –هنا–"توكيد الأخذ بكل ما في السورة على درجة سواء،ففرضية الآداب والأخلاق فيها كفرضية الحدود والعقوبات،فهذه الفروض والحدود ليست مجرد توصيات،يؤخذ بها أولا يؤخذ، بل إنها أحكام قاطعة لابد لكم أن تتبعوها،وتكيفوا شؤون حياتكم الفردية والاجتماعية على حسبها".

وفي إسناد نون العظمة إلى ﴿فرضناها ﴾دلالة على عظمة المفروض،وإيجاب العمل به وتهويل مخالفته والدليل على ذلك تكرار (الإنزال).

"وتكرير ﴿أنزلنا ﴾مع ظهور أن إنزال جميع الآيات عين إنزال السورة لاستقلالها بعنوان رائق داع إلى تخصيص إنزالها بالذكر،إبانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى﴿ ونجيناهم من عذاب غليظ ﴾بعد قوله سبحانه ﴿نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ﴾ والاحتمال الأول أظهر وقال

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة :(نزل) .

(٢) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، تأليف الاستاذ الدكتور: فاضل السامرائي، الطبعة الأولى – بغداد، ص٥٩.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة : (فرض) .

الإمام: إنه تعالى ذكر في أول السورة أنواعا من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى (فرضناها) إشارة إلى الأحكام المبنية أولا وقوله سبحانه(وأنزلنا فيها آيات بينات) إشارة إلى ما بين من دلائل التوحيد ويؤيده قوله عزوجل : ﴿لعلكم تذكرون﴾"[١].

ومجئ لفظ ﴿آيَاتٍ﴾ منكرا،وصف الآيات بأنها ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ تعظيما لها كماً وكيفاً،وحتى تشمل جميع معاني الآية في لغة العرب[٢] من علامات ظاهرة،وإعجاز في معرفة خصائص نفوس البشر.

وتعد برهاناً ودليلاً على قدرة الله،ومعرفته بخلقه،حتى يحمل المتلقي على العمل بهذه الأحكام والآداب الواردة في السورة.

فمجيء الألفاظ في الآية بهذا الأسلوب الذي يحمل في سياقه معاني الشدة،و الصرامة في تنفيذ ما سيأتي من أحكام في الآيات التي تلي المقدمة،كذلك ربطت الخلق بخالقهم حيث الإسناد إلى نون العظمة في الأفعال الماضية التي تناسب نور الله جل جلاله،العالم بدقائق خلقه وما يدور داخل نفوسهم،والإطناب هنا من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام بشأن الخاص .

وقد ناسبت صيغة الماضي في قوله : ﴿**أَنزَلْنَاهَا**﴾،﴿**وَأَنزَلْنَا**﴾،﴿ **وَفَرَضْنَاهَا**﴾ كونه واقعاً في الحال،باعتبار إرادة إنزالها فكأنه قيل: أردنا إنزالها وإبلاغها،"وجاء التعبير عن الإنزال بصيغة الماضي ؛ لأنه واقع في الحال باعتبار إرادة إنزالها،فكأنه قيل: أردنا إنزالها وإبلاغها،فجعل ذلك الاعتناء كالماضي حرصا عليه"[٣].

والتعبير بلفظ﴿ **تَذَكَّرُونَ** ﴾يشير إلى أن حق هذه الآيات أن تكون على ذكر من المتلقين،فمتى مست الحاجة إليها استحضروها في الحال وعملوا بها.

و لزوم صيغة المضارع دلت على التجدد والاستمرار في الحدوث فهم مأمورون بتطبيقها في كل زمان ومكان،وليس هناك عذر من عدم الالتزام بفرائضها وتوجيهاتها،وإذا كان البعض قد نسي أو تناسى تحت بعض المؤثرات والمتغيرات الزمانية والمجتمعية،تحت تأثير المغريات والانحرافات،فتذكرهم بها تلك الآيات البينات،وتردهم إلى منطق الفطرة الواضح المبين"[٤]

---

(١) روح المعاني، الألوسي ج٩، ص٢٧٥.

(٢) ينظر: في ظلال القران، سيد قطب ج ٤ ص٢٤٨٧ .

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج ١٨، ص ١١٢.

(٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص ٢٤٨٧.

٢- حد الزنا:

و بعد هذا المطلع القوي الصريح الجازم يتبعه بيان حد الزنا وتفظيع هذه الفعلة [١]بقوله تعالى :﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]

حيث بدأ سبحانه بحد الزنا ؛ لأنه من أعظم الكبائر وأشنع الموبقات ؛ ليغلق باب هذه الجريمة النكراء،التي تخفي كثيرا من الجرائم والأمراض الاجتماعية،كذلك بدأت في هذه الآية الأفعال الكلامية،بإقامة الحد على الزناة،وعدم الرأفة بهما عند تطبيق الشرع،والأمر بإطافة الناس عند تنفيذ الحكم.

وجاء لفظ﴿ ٱلزَّانِيَةُ﴾ على وزن (فاعلة)،وهذه الصيغة تشير إلى المرأة التي تباشر الزنا برضاها ومحض اختيارها،وليست مكرهه عليه. "قال الزمخشري : فإن قلت : قدّمت الزانية على الزاني أولاً ثم قدم عليها ثانياً ؟ قلت : سبقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة على المادة التي منها نشأت الجناية،فإنها لو لم تطمع الرجل ولم تربض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن،فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدأ بذكرها،. و(أل) في ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي ﴾ للعموم في جميع الزناة ".[٢]

" والمتأمل في آيات الحدود يجد مثلاً في حَدِّ السرقة قوله تعالى﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ..﴾ [المائدة: ٣٨] فبدَأ بالمذكر،أما في حَدِّ الزنا فقال: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي.. ﴾ [النور: ٢] فبدأ بالمؤنث،لماذا هذا الاختلاف في التعبير القرآني؟

قالوا: لأن دور المرأة في مسألة الزنا أعظم ومدخلها أوسع،فهي التي تغري الرجل وتثيره وتهيج عواطفه؛ لذلك أمر الحق – تبارك وتعالى – الرجال بغَضِّ البصر وأمر النساء بعدم إبداء الزينة،ذلك ليسُدَّ نوافذ هذه الجريمة ويمنع أسبابها،أما في حالة السرقة فعادةً يكون عِبْءُ النفقة ومُؤْنة الحياة على كاهل الرجل،فهو المكلف بها؛ لذلك يسرق الرجل،أمَّا المرأة فالعادة أنها في البيت تستقبل،وليس من مهمتها توفير تكاليف الحياة،لكن لا مانعَ مع ذلك أن تسرق المرأة أيضاً؛ لذلك

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٤٨.

(٢)تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج٦، ص ٣٩٢.

بدأ في السرقة بالرجل،وبتأمل آيات القرآن تجد الكلام موزوناً دقيقاً غاية الدقة،لكل كلمة ولكل حرف عطاؤه،فهو كلام رب حكيم،ولو كانت المسألة مجرد تقنين عادي ما التفتَ إلى مثل هذه المسائل"[١].

وعبر القرآن بلفظ الجلد دون الضرب﴿فَٱجۡلِدُواْ﴾ "وفي لفظ الجلد إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتجاوز الألم إلى اللحم؛ولأن الجَلد ضرب الجِلد، يقال: جلَده كقولك ظهَره بفتح الهاء وبطَنه ورأَسه،إلا أنا لما عرفنا أن المقصود منه الزجر والزجر لا يحصل إلا بالجلد الخفيف"[٢] فهذه حدود حدها الله سبحانه لا يريد بها الإهلاك إنما عقوبة متناسبة مع شناعة الفعل،واختيار صيغة الأمر دليل على الوجوب والإلزام في تنفيذ الحكم،كذلك ناسبت صيغة الجمع التي توحي بتلاحم الأمة ووحدتها ضد كل شر متفشي في جسدها،فالأمة لن تجلد كل زان،ولكن الذي يبت في الحكم هو الإمام أو القاضي ولكنها صيغة جمع في حكم المفرد .

﴿وَلَا تَأۡخُذۡكُم﴾" والأخذ: حقيقته الاستيلاء. وهو هنا مستعار لشدة تأثير الرأفة على المخاطبين وامتلاكها إرادتهم بحيث يضعفون عن إقامة الحد فيكون كقوله:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ ﴿٢٠٦﴾﴾[البقرة:٢٠٦] فهو مستعمل في قوة ملابسة الوصف للموصوف"[٣].

ولقد تناسب لفظ ﴿رَأۡفَةٞ﴾ لأن "الرأْفة الرحمة وقيل أَشد الرحمة،وفي التنزيل العزيز ﴿ولا تأْخُذْكُم بهما رأْفةٌ في دِينِ اللّه﴾ قال الزجاج: أَي لا ترحموهما فَتُسْقِطوا عنهما ما أَمَر اللّه به من الحدّ"[٤]؛ و"لأنه لم ينه عن مطلق الرحمة،لأن الرأفة أشد الرحمة وأرقها وتكون عن أسباب من المرؤوف به[٥]،وكأن الأمر مقابلة بين صرامة الحدود ورقة المشاعر حتى يتضح المعنى ويقوى؛ لأنه كما يقول صاحب الظلال: "ولا رأفة في دين الله . فالرأفة بالزناة الجناة حينئذ هي قسوة على

(١) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ص ٢٧٦٨.
(٢) مفاتيح الغيب، الرازي ،ج٢٣، ص١٢٧ .
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص١٢١.
(٤) لسان العرب، مادة : رأف، ج٩، ص ١١٢.
(٥) نظم الدرر، ج٥، ص ٢٣١ .

الجماعة،وعلى الآداب الإنسانية،وعلى الضمير البشري،وهي رأفة مصطنعة،فالله أرأف بعباده،وقد اختار لهم،والله أعلم بمصالح العباد،وأعرف بطبائعهم .

وليس لمتشدق أن يتحدث عن قسوة العقوبة الظاهرية،فهي أرأف مما ينتظر الجماعة التي يشيع فيها الزنا،وتفسد فيها الفطرة،وترتكس في الحمأة،وتنتكس إلى درك البهيمة الأولى، والتشديد في عقوبة الزنا لا يغني وحده في صيانة حياة الجماعة،وتطهير الجو الذي تعيش فيه . والإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة كما قلنا إنما يعتمد على الضمانات الوقائية وعلى تطهير جو الحياة كلها من من رائحة الجريمة "[1].

فروح السورة هو روح شدة وحزم على الزناة،لا مقام رحمة ولين،ولكل مقام ما يناسبه وبذلك صرح القرآن الكريم مادحاً الصحابة –رضي الله عنهم– لا تصافهم بالشد ةواللين فقال سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح:٢٩].

ذكر عز الدين ابن عبد السلام " أن النهي للرأفة في اللفظ،وللمخاطبين في المعنى،كأنه قال ولا ترأفوا بهما "[2] وناسب اختيار لفظ ﴿الدين ﴾ في قوله تعالى ﴿في دين الله ﴾؛" لإفادة أنها رأفة غير محمودة لأنها تعطل دين الله،أي أحكامه،وإنما شرع الله الحد استصلاحا فكانت الرأفة في إقامته فسادا. وفيه تعريض بأن الله الذي شرع الحد هو أرأف بعباده من بعضهم ببعض "[3].كما يلزم دين الله العباد بالطاعة،وتنفيذ الأوامر سواء كانت قولا،أو فعلا،أو مجرد أحاسيس ومشاعر تتخالج في نفوسهم .

أما قوله تعالى:﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾فقد عبر بالشهادة هنا؛ لأن "الخزي والفضيحة عند بعض الناس أشد من ضرب السيف فضلا عن ضرب السوط " [4] وربما تكون

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص ٢٤٩٠.

(٢) مجاز القرآن، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق : محمد مصطفى بن الحاج، منشورا ت كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ١٩٩٢م.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص١٢٢.

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج ٥، ص٢٢٩.

الشهادة "زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر من التعذيب أو لذلك وللعبرة والموعظة"[١]

قال الرازي:"تسميته عذاباً يدل على أنه عقوبة،ويجوز أن يسمى عذاباً ؛لأنه يمنع المعاودة كما سمي نكالاً،ونبه تعالى بقوله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على أن الذين يشهدون يجب أن يكونوا بهذا الوصف ؛ لأنهم إذا كانوا كذلك عظم موقع حضورهم في الزجر،وعظم موقع إخبارهم عما شاهدوا،فيخاف المجلود من حضورهم الشهرة،فيكون ذلك أقوى في الازدجار "[٢]فالجلد ليس عذابا للجِلد فقط،بل هو عذاب شامل نفسياً وجسديا،فهو أشد على نفوس الزناة من الجلد نفسه،وهذا يتناسب مع الحياة الاجتماعية، والمرغوب والمنبوذ فيها من أفعال .

وقد عبر سبحانه بـ ﴿طَآئِفَةٌ﴾" وأمر بشهادة الطائفة؛ للتشهير،فوجب أن تكون طائفة يحصل بها التشهير،والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة،واختصاصه المؤمنين ؛لأن ذلك أفضح،والفاسق بين صلحاء قومه أخجل،ويشهد له قول ابن عباس- رضي الله عنهما- : إلى أربعين رجلاً من المصدقين بالله "[٣]وأيضاً[٤]"زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب"[٥]وربما يكون حضور جماعة المؤمنين "ليس ذلك للفضيحة،إنما ذلك ليدعى الله تعالى لهما بالتوبة والرحمة."[٦]،وكذلك إظهار وامتنان لنعمة الله على المؤمنين،إذ حفظهم بالإيمان من الوقوع في الحرام كما وقع غيرهم،فنور الهداية تغلغل في قلوب فئة والأخرى يطهرها الحد وينير لها طريق الآخرة،وتبقى خيرية أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة ما طبق شرع الله وحكمه .

٣-حد القذف:

---

(١) روح المعاني، للألوسي، ج٩، ص٢٨٢.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ج ٢٣، ص ١٣٠.

(٣)الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢١١.

(٤) نظم الدر، ج٥، ص٢٣٢.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ا ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص١٧٣ .

(٦) تفسير القرآن العظيم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق : محمود حسن، دار الفكر، الطبعة الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٣، ص٣٢٠.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون ﴾ [النور:٤]

إن"التشديد في عقوبة الزنا لا يغني وحده في صيانة حياة الجماعة،وتطهير الجو الذي تعيش فيه،والإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة،إنما يعتمد على الضمانات الوقائية وعلى تطهير جو الحياة كلها من رائحة الجريمة ؛لذلك يعقب على حد الزنا،بعزل الزناة عن جسم الأمة المسلمة .

ثم يمضي في الطريق خطوة أخرى في استبعاد ظل الجريمة من جو الجماعة،فيعاقب على قذف المحصنات واتهامهن دون دليل أكيد"[١]،و"ظاهر الآية لا يدل على الشيء الذي به رموا المحصنات،وذكر الرمي لا يدل على الزنا إذ قد يرميها بسرقة وشرب خمر وكفر،بل لا بد من قرينة دالة على التعيين،وقد أجمع العلماء على أن المراد الرمي بالزنا وفي الآية أقوال تدل عليه

أحدها: تقدم ذكر الزنا،وثانيها: أنه تعالى ذكر المحصنات وهن العفائف،فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميهن بضد العفاف،وثالثها:قوله ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء ﴾يعني على صحة ما رموهن به،ومعلوم أن هذا العدد من الشهود غير مشروط إلا في الزنا، و رابعها :انعقاد الإجماع على أنه لا يجب الجلد بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا إذا عرفت هذا فالكلام في هذه الآية يتعلق بالرمي والرامي والمرمي" [٢]وكل هؤلاء من المجتمع المسلمين الذين تتضرر بيوتهم بتلك التهم.

وفي اختيار لفظ﴿ **يَرْمُونَ** ﴾ دون (يقذفون) ذلك لأن ؛ الرمي تناسبٌ مع السورة ومحورها فالرمي هنا " المقصود به الزنا وهو من مجاز التشبيه ؛لأن من رُمي بشيء فإنه يؤلمه ويؤثر فيه،فشبهت أذية الأعراض بالأقوال،بأذية الأجساد برمي الأحجار "[٣] فقد استعير هذا المعنى للقذف لأن "طعن اللسان كوخز السنان"[٤]. واستعير هذا اللفظ بجامع شدة التأثير والإيلام في

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب،ج٤،ص ٢٤٩٠ .

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٣، ص ١٣٣.

(٣) مجاز القرآن، عز الدين بن عبد السلام، ص٤٠٢.

(٤) مجمع الأمثال تأليف :أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، دار المعرفة بيروت، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ج١، ص ٤٣٣.

الكل،وتخصيص ﴿المحصنات ﴾ "من حيث هو أهم وأبشع وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى والإجماع على ذلك والمحصنات هنا: العفائف"(١)واستشعار بنزاهتهن وبراءة لهن من الزنا إذ هن محصنات عفيفات،وتخصيص الإناث بالقذف لأن قذفهن أشد جرماً وأشد ضرراً،لأنهن أساس بناء الأسرة المسلمة،ومربيات النشء الصالح،فقذفهن بذلك ليس جرماً بحقهن فقط،بل بحق مجتمع بأكمله وهذا متناسب مع وحدة السورة.

وأما قوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور:٤]

هذا كله ليزجر كل مَنْ تسوِّل له نفسه الخوْضَ في أعراض الحرائر واتهام النساء الطاهرات؛ فالحق – تبارك وتعالى – يريد أن يحفظ مجتمع الإيمان من أن تشيع فيه الفاحشة،أو مجرد ذكرها والحديث عنها".

"ويشترط القرآن الإتيان بأربعة شهداء ؛ تشديدا على القاذف ويشترط كونهم رجالا لما صرحوا به من أنه لا مدخل لشهادة النساء في الحدود،وظاهر إتيان التاء في العدد مشعر باشتراط كونهم كذلك"(٢)،أما مجئ ﴿**شَهَادَةً**﴾ "نكرة فهي لإفادة العموم "(٣)وفي ذلك أمر برد شهاداتهم بأي موضوع من الموضوعات وكأن أمر قذف المحصنات من الأمور العظيمة ؛لأن " ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً،بتلك التهمة النكراء ثم يمضي فتصبح الجماعة وتمسي وإذا الأعراض مجرحة وسمعتها ملوثة وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام وإذا كل زوج شاك في زوجته وكذلك اطراد سماع تلك الأمور يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة﴿ **وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ واسم الإشارة للإعلان بفسقهم ليتميزوا في هذه الصفة الذميمة.

---

(١) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ،بيروت ج٣، ص١٠٩.

(٢) ينظر : روح المعاني، الألوسي، ج٩، ص٢٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج ٩، ص٢٩٦.

والحصر في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؛ للمبالغة في شناعة فسقهم،حتى كأن ما عداه من الفسوق لا يعد فسقا."(١) ولقد تناسب تأكيد هذا الخبر بضمير منفصل ؛لأبعاد هذا القاذف عن جماعة المسلمين ؛لفسقه، فهو لم يراع مصلحة الفرد ولا مصلحة الجماعة،بل بث الشك والزعزعة في جسد المجتمع المسلم، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥﴾ يقول الرازي: " قوله ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تعقيب قوله و﴿لاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً ﴾ يدل على أن العلة في عدم قبول تلك الشهادة كونه فاسقاً ؛لأن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية لا سيما إذا كان الوصف مناسباً وكونه فاسقاً يناسب أن لا يكون مقبول الشهادة إذا ثبت أن العلة لرد الشهادة ليست إلا كونه فاسقاً ،ودل الاستثناء على زوال الفسق فقد زالت العلة، فوجب أن يزول الحكم لزوال العلة"(٢) وكأن هذا الاستثناء يحث المجتمع على العفو والصلح،واحتواء التائب،وإقالة عثرته،فمغفرة الله ورحمته شاملة لكل تائب .

٤ –اللعان.

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦﴾ [النور:٦]" هذا تخصيص للعموميين اللذين في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ فإن من المحصنات من هن أزواج لمن يرميهن،فخص هؤلاء الذين يرمون أزواجهم من حكم قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ الخ. إذ عذر الأزواج خاصة في إقدامهم على القول في أزواجهم بالزنا إذا لم يستطيعوا إثباته بأربعة شهداء.

ووجه عذرهم في ذلك ما في نفوس الناس من سجية الغيرة على أزواجهم ،وعدم احتمال رؤية الزنا بهن ،فدفع عنهم حد القذف بما شرع لهم من الملاعنة.

وفي هذا الحكم قبول لقول الزوج في امرأته في الجملة إذا كان متثبتا حتى أن المرأة بعد أيمان زوجها تكلف بدفع ذلك بأيمانها وإلا قبل قوله فيها مع أيمانه فكان بمنزلة شهادة أربعة فكان موجبا حدها إذا لم تدفع ذلك بأيمانها،وعلة ذلك هو أن في نفوس الأزواج وازعا يزعهم عن أن يرموا

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٢٨.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ج ٢٣، ص١٤١.

نساءهم بالفاحشة كذبا وهو وازع التعيير من ذلك ووازع المحبة في الأزواج غالبا،ولذلك سمى الله ادعاء الزوج عليها باسم الشهادة بظاهرة الاستثناء"[١].

وخصص لفظ ﴿أَزْوَاجَهُمْ ﴾؛لأن الحكم في قذف المحصنات كان عاماً، وتخصيص الزوجات باللفظ أخص،وهذا تذكير برباط الزوجية،والميثاق الغليظ القائم بين الزوجين،وربما يكون له من هذه الزوجة أولاد،فمن رحمة الله بهم سبحانه أن شرع اللعان،حتى لا تتزعزع اللبنة الأولى من لبنات المجتمع وهي الأسرة بالشك في أمهم،وهذا يتناسب مع روح السورة ومعانيها .

وتكرار لفظ الجلالة ﴿شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾،﴿ لَعْنَتَ اللَّهِ ﴾ فقد ناسب الجو العام "لأن الموقف عظيم وفيه استحضار جميع صفات الله جل جلاله المقرونة بهذا الاسم العظيم" [٢].

﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [النـــــور:٨]

﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ ﴿ وَيَدْرَؤُاْ ﴾ الدرء الدفع [٣]واختيار هذا اللفظ إشارة إلى أن الملاعنة تدفع عنها الحد بقوة،فلا يلحقها منه شيء،فقوة الحدث ناسبها قوة اللفظ.

﴿ غَضَبَ ٱللَّهِ ﴾ فقد ذكر اللعن في جانب الرجل والغضب في جانب المرأة؛ لأن "الغضب فيه تغليظ على المرأة "[٤] ؛ ولأنها هي الأساس في المجتمع بأكمله فهي نصفه،والوالدة للنصف الآخر،وفي وقوعها بهذا الأمر الفاحش خلط للأنساب وتحطيم وانهيار للمجتمع.

٥–حديث الإفك وعلاقته بالتناسب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [النور: ١١]

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص١٣٠.

(٢) ينظر : نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٣٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة : (درأ).

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، ج ٦، ص ١٥٩.

حادثة الإفك من أهم المحاور التي تناولتها سورة النور،بل إن بعض العلماء[١]من جعلها الموضوع الأساس لهذه السورة،وما قبلها تمهيدا وتوطئة لها،وهى الأساس في الحكم والحد ؛ لأن من تكلموا فيها قد تكلموا عن أصفى وأطهر الخلق،وعن حبيبته صلى الله عليه وسلم،فبدأ الآية بألفاظ صارمة تناسب ما جاؤوا به من فعل ومن قول،ومؤامرات ضد النبي ﷺ ففي هذه الآية شع نور براءة أم المؤمنين –رضي الله عنها –،كذلك انجلت العتمة عن بعض المنافين الذين كانوا يحيكون المؤامرات ضد النبي– ﷺ – وينخرون في جسد الأمة،في ظلمة النفاق،فكانت هذه السورة ضوء سلطه الله عليهم لكشف حقدهم وكفرهم.

وللإشارة إلى أنهم عرفوا بهذا الفعل وشهروا به،حتى أصبح صفة ثابتة لهم،تناسب لفظ " الإفك " لأنه ؛ "أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الإفك وهو القلب ؛لأنه مأفوك عن وجهه وسننه، والمراد به: ما أفك به الصديقة أم المؤمنين –رضي الله– عنها وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم"[٢].

" وعُرّف زيادة تبشيع له في هذا المقام،حتى كأنه لا إفك إلا هو ؛لأنه في حق أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها –وهي من أحق الناس بالمدحة ؛ لما كانت عليه من الحصانة والشرف والعفة والكرم،فمن رماها بسوء فقد قلب الأمر عن أحسن وجوهه إلى أقبح أقفائه،وترك تسميتها تنزيهاً لها عن هذا المقام،إبعاداً لمصون جانبها العلي عن هذا المرام"[٣]كذلك تناسب لفظ﴿**عصبة منكم** ﴾ قيل: "هم جماعة أقلهم عشرة وأكثرهم أربعون منهم لكونهم عصبه يحمي بعضهم لبعض فيشد أمرهم لأن مدار مادة عصب على الشدة "[٤].

" فهم لكونهم عصبة يحمى بعضهم لبعض،فيشتد أمرهم،وهم مع ذلك ﴿ منكم ﴾ أي ممن يعد عندكم في عداد المسلمين "[٥] فالمسلمون فيما بينهم مترابطون،تسود بينهم المودة والرحمة

(١) تفسير سورة النور ،أبو على المودودى.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ج٦، ص١٦٠.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص ٢٣٩.

(٤)المصدر نفسه، ج٥، ص٢٣٩.

(٥)المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٣٩.

والمودة،وكل ذلك يقتضي عدم إيذائهم لرسول الله –صلى الله عليه وسلم – وأهل بيته،ومنى ثم تنويه على عدم إيذاء المسلمين ووجوب ترابطهم،أما هؤلاء فقد دفعتهم العصبية وحقدهم على المسلمين لفعل ذلك،ثم إن القرآن عدل عن التعريف بهم والأمر بمعاقبتهم ؛ محافظة على ذات البين ورحمة بالمؤمنين،لما خاضوا في الإفك،وبشرى قد أعدها الله لأم المؤمنين –رضي الله عنهما.

فناسب ذلك لفظ ﴿لاَ تَحْسَبُوهُ﴾فكان " هذا الخطاب من لفظ جمع كل من تأذى بذلك الكذب واغتم ومعلوم أنه – صلى الله عليه وسلم – تأذى بذلك وكذلك أبو بكرﷺ.

أما التعبير ب﴿ لَّكُمْ﴾ فكان أبدع ما يكون في النظم،حيث حمل معنى العزل والفصل،لتلك الفئة التي جاءت بالإفك وهم المنافقون حيث تكلمت وورد ذكرهم في ثنايا السورة وكأن المؤمنين الخلص فئة،وهؤلاء المنافقون فئة أخرى،والدليل تعريفهم بالموصول،وضمير الغيبة في قوله ﴿والذي تولى كبره منهم ﴾ استهجاناً،وتحقيراً لهم،وعلى هذا يقاس الشرذمة المفسدة في المجتمع ؛بعزلهم أخلاقيا عن النشء الصالح حتى لا يلحقهم الأذى،وأيضاً في ذلك علو ورفعه لمكانة النبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه.

أما اختيار صيغة الافتعال في قوله: ﴿اكْتَسَبَ﴾ "وصيغة الافتعال من (كسب) تستعمل في الذنب إشارة إلى أن الإثم يرتب على ما حصل فيه من تصميم وعزم قوي صدّقه العمل،بما فيه من الجد والنشاط،وتجرد من الخير إشارة إلى أن الثواب يكتب بمجرد فعل الخير بل ونيته"[1] وفي هذا تظهر العدالة الربانية وأن الجزاء من جنس العمل

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

[النور: ١٢]

لفظ ﴿ظن﴾يوجب على المؤمنين أن يعرضوا هذا الأمر على ضمائرهم،لعلهم يحصلوا على دليل وجداني،فأم المؤمنين كأنفسهم " فقطعوا ببراءتها ؛ لأن الإنسان لا يظن بالناس إلا ما هو متصف به أو بإخوانهم،لأن المؤمنين كالجسد الواحد،أو ظنوا ما يظن بالرجل لو خلا بأمه وبالمرأة

(١)نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٤٠.

إذا خلت بابنها فإن نساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين"[١] وفي هذا كناية عن المجتمع المسلم كله،أنه نفس واحدة،وجرح أحدهم كجرح الجسد الواحد،فكيف إذا كان الأمر بأم المؤمنين ذاتها،لاسيما أنه عبر عنه باسم الإشارة ﴿**وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِين**﴾.

فالتعبير باسم الإشارة ﴿هذا﴾وتنكر الإفك،ووصفه بأنه مبين ؛تحقير لشأنه،وتنبيه على أن كونه بهتاناً واختلاقا،أمر ظاهر واضح لا يحتاج إلى دليل. وهذا الأمر مبين بنفسه بأنه كذب وخداع،ومبين لغيره من أحوال المخادعين وريبتهم،سواء في هذه القصة أو الحادثة،أو في جميع ما يجري في المجتمع الإسلامي من مكائد يديرها المنافقون.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور: ١٤]

بعد العتاب الشديد للمؤمنين الذين خاضوا في حديث الإفك ،ومن كان على شاكلتهم ثم تاب،ذكرهم الله تعالى بفضله عليهم،واختيار اللفظ بلا تعريف ﴿فضل ﴾ دليل على عظمة ذلك الفضل،فقد اختصهم بقوله: ﴿**عَلَيْكُمْ**﴾؛ لرفعة مكانة المؤمنين وأن الله تعالى يغفر لهم بالتوبة.

يقول الشوكاني في ذلك: "لولا أني قضيت عليكم بالفضل في الدنيا بالنعم،التي من جملتها الإمهال،والرحمة في الآخرة بالعفو،لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك"[٢]،حتى من تمام فضله على المؤمنين سبحانه كان التعبير عن الإفك بالإبهام ومع ذلك تفضل الله عليكم بالرحمة والغفران،وكذلك تشريع الأحكام الرادعة التي تحمي المجتمع المسلم،الذي يبدأ من لبنته الأولى وهي الأسرة .

ولقد تناسب اختيار لفظ ﴿لمسكم ﴾ فالمس في اللغة :" اللمس،يقال مسست الشيء أمسه مساً إذا لمسته بيدك "[٣]فالمس أنسب لمقام عتابهم وإسباغ الفضل عليهم في الدنيا والآخرة،من لفظ الأخذ أو الإصابة،مع أنهم خاضوا وأكثروا في حديث الإفك ﴿**فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ**﴾

---

(١) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٤٣.

(٢)فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني،دار ابن كثير، الطبعة : الأولى ،١٤١٤هـ. ،بيروت، ج ٤، ص١٦ .

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة :(مسس).

والإفاضة في الحديث في لغة العرب: "الاندفاع والخوض والإكثار،وفي التنزيل: ﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾أي:تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره"[١]،فالإفاضة ناسبت اسم النور في الانتشار والإفاضة وهذا متناسب تماماً مع موضوع السورة ووحدتها،حيث ركزت على صلاح المجتمع في الدنيا وعلى الثواب العظيم في الآخرة وعلى لطف الله ورحمته بعباده بشكلٍ عام،وفي سورة النور بشكل خاص،حيث جمعت السورة في ألفاظها بين الشدة واللين،والانتشار والشيوع .

﴿ **عَذَابٌ عَظِيم**﴾ فقد جاء اللفظ نكره،ووصف بالعظم؛ لتفخيمه وتهويله بذاته وصفته.

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥]

﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ**﴾ وتلقى القول استقباله،وكان هذا اللفظ الأنسب في هذا الموضع ؛لأن "الأصل أن يتلقى الإنسان الكلام بأذنه،ثم يستوعبه بعقله وقلبه،ولكن هذه الحادثة كان التلقي باللسان بدل الأذن والقلب،فهو إشارة إلى سرعة النطق دون التعقل والتدبر"[٢] وقد علق البقاعي على الآية بقوله :" أي تجتهدون في التلقي ؛أي قبول هذا الكلام الفاحش وإلقائه بألسنتكم،بإشاعة البعض وسؤال آخرين وسكوت آخرين " ثم كانت صيغة المضارع أنسب في هذا المقام حيث دلت على استمرارهم في الحديث عن أم المؤمنين يقول الرازي "ذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له: ما وراءك؟ فيحدثه بحديث الإفك ،حتى شاع واشتهر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه"[٣] ،ولقد نص على القول بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا عن طريق الفم؛ لأن" الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه باللسان وهذا الإفك ليس إلا قولاً يجري على ألسنتكم من غير أن يحصل في القلب علم به"[٤] ،وهذا متناسب مع روح السورة وما صدر فيها من أحكام إطلاق الألسنة بكلام فاحش في المجتمع بأكثر من موضع،أما اختيار صيغة ﴿عظيم﴾في ﴿**وهو عند الله عظيم**﴾،فكانت متناسبة مع جلالة عظمة هذا الذنب المقترف؛لأنه

(١) المصدر نفسه، مادة:(فيض).

(٢) سعيد حوى، الأساس في التفسير، المجلد ٧، ص ٣٧٢٦ .

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ص١٥٦.

(٤) المصدر نفسه،ج٢٣، ص ١٥٦.

متناسب مع مقدار عظمتها عند الله لأنها أم المؤمنين رضي الله عنها،ولا يصح أبداً أن يتعدوا على بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]

وفي اختيار الحواس الظاهرة والباطنة الأفواه والسماع،وعندما أشار إلى القلوب كان في محمل الظن والحسبان،كان زيادة ومبالغة في عتابهم على فعلتهم،ثم أدى ذلك العتاب بـ ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ ففي هذا اللفظ تقريغ وتهويل للأمر ومبالغة في العتاب ؛ لأن ﴿**هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيم**﴾ "كذب يبهت سامعه،ويُدهِشه لفظاعته،وشناعته،فنحن نأنف أن نقول هذا الكلام،ولو كنا منكرين له "[1]؛ لأن أم المؤمنين –رضي الله عنها– في غاية الغفلة عنه وأبعد الناس عن هذا،وفي ذلك إثبات المقابل،وهو براءة أم المؤمنين والذي هو أهم موضوعات السورة،ثم ختمت الآية بـ قوله بـ ﴿عظيم﴾[2] وفي ذلك أسلوب تعليم لكيفية مواجهة الإشاعة وتنقلها وتداولها،وإن الضبط الشديد للسان خلق نصَّت عليه الآيات في القرآن،وفي سورة النور بشكل خاص.

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور:١٧]

واختيار لفظ (الوعظ) ؛لأنه رقيق على القلب،وأدعى لقبول الدعوة،فالله يمهل بحلمه ولا يمهل بحكمته وعلمه،وهذا تحذير على وجه الاستعطاف؛ لأن منهج السورة بأكملها جمع بين الشدة في العقوبات والصرامة فيها وبين اللين وتعليق القلوب برب العالمين،الذي نهاهم نهي دائم مستقبلي عن هذه الأفعال في قوله : ﴿ **أَبَدًا** ﴾ ثم خصهم بالإيمان ؛لأن الإيمان أقوى رادع في الوقوع في المعاصي والنواهي لاسيما الأمور العظيمة كالإفك،وفي هذا إشارة إلى تربية الضمير وتقوية الإيمان في نفوس النشء،فهو أقوى رادع،ومربي لهم .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩]

(١) تفسير الشعراوي، ص ٢٧٨٠.

(٢) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٣٢.

بدأت الآية في التعبير بالموصول؛"واسم الموصول يعم كل من يتصف بمضمون الصلة فيعم المؤمنين والمنافقين والمشركين،فهو تحذير للمؤمنين وإخبار عن المنافقين والمشركين"[١]،ثم تناسب اختيار لفظ المحبة مع موضوع شيوع الفاحشة حيث ذكر ابن عاشور "[٢]المحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه،وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار،وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف وعذاب الآخرة وهو أظهر؛ لأنه مما تستحقه النوايا الخبيثة،وتلك المحبة شيء غير الهم بالسيئة وغير حديث النفس ؛لأنهما خاطران يمكن أن ينكف عنهما صاحبهما،وأما المحبة المستمرة فهي رغبة في حصول المحبوب" ،ثم ناسب اختيار لفظ الشيوع ﴿تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ سرعة انتشار الفاحشة وتعدد طرقه،فهو كما النور في شيوعه وانتشاره،ولم يقتصر النهي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بل إن صيغة المضارع واستخدام (أن) قبلها؛"لأن (أن) تخلص المضارع للمستقبل "[٣] لـ"أن شأن المؤمن أن لا يحب لإخوانه المؤمنين إلا ما يحب لنفسه،فكما أنه لا يحب أن يشيع عن نفسه خبر سوء كذلك عليه أن لا يحب إشاعة السوء عن إخوانه المؤمنين.

ولشيوع أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو الكذب مفسدة أخلاقية فإن مما يردع الناس عن المفاسد تهيبهم وقوعها وتجهمهم وكراهتهم سوء سمعتها وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها بل الإقدام عليها رويداً رويداً،حتى تنسى وتنمحي صورها من النفوس،فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر وخف وقع خبرها على الأسماع فدب بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها وخفة وقعها على الأسماع فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها وبمقدار تكرر وقوعها وتكرر الحديث عنها تصير متداولة. هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج١٨، ص ١٤٧.

(٢)المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٤٨.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص١٤٨.

إلحاق الأذى والضرر بالناس ضرا متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب[١]"،ولذلك توعد الله هذه الفئة بقوله :﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

٦- النهي عن اتباع خطوات الشيطان:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١]" هذه الآية نزلت بعد العشر الآيات المتقدمة،فالجملة استئناف ابتدائي،ووقوعه عقب الآيات العشر التي في قضية الإفك مشيراً إلى أن ما تضمنته تلك الآيات من المناهي،وظنون السوء،ومحبة شيوع الفاحشة كله من وساوس الشيطان،فشبه حال فاعلها في كونه متلبساً بوسوسة الشيطان بهيئة الشيطان يمشي والعامل بأمره يتبع خطى ذلك الشيطان"[٢]وابتداء الآية الكريمة بالنداء،داعية للتنبيه والإيقاظ للإشارة إلى أن ما يعقبه أمر جليل،يجب أن يتنبه له ويلتفت إليه،ويعمل بمقتضاه،" وعرف المنادى بالاسم الموصول تعظيماً لشأنه "[٣] وخص المؤمنين بالنداء ؛لأنهم أولى الناس بالإمتثال .

واختيار لفظ ﴿ خطوات ﴾ حيث استعير اللفظ للوساوس ؛لتناسبهما في أن كلاً منهما موصل إلى المعاصي يقول ابن عاشور :" تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى ينهوا عن اتباعها"[٤] ؛ لأن إغواءه مستمر لابن آدم.

وناسب ذلك صيغة المضارع في﴿ تَتَّبِعُوا ﴾،ولن يسلم من غوايته إلا من عصمه إيمانه،فقد أكد سبحانه بالفعل بـ ﴿أْمُرُ﴾ مع أن الشيطان يغري ويوسوس؛ وذلك مبالغة في التحذير والتنفير

(١)المصدر نفسه، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢)التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٤٩.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، تأليف : د فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، علم المعاني، ص ٣٢٠.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٤٩.

من وسوسته وإغرائه،فلا يصمد أمام وساوسه إلا من تسلح بإيمان قوي،فمثال هذا الإتباع هي حادثة الإفك،ولكن رحمة الله وفضله شملت عباده المؤمنين،حيث ناسب ذلك لفظ ﴿مَا زَكَىٰ﴾ والتزكية المبالغة في التطهير ؛ لأن بعضاً من المؤمنين خاضوا في حديث الإفك،ومع ذلك تفضل الله عليهم بالرحمة والمغفرة المستمرة له متى ما عادوا وتابوا لأن الله﴿ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ وصيغة المضارع دلت على التجدد والاستمرار في الفعل،يقول الزمخشري: "ولولا إن الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم آخر الدهر من دنس إثم الإفك،ولكن الله يطهر التائبين بقبول توبتهم إذا محضوها"(١).

٧-معاملة المسيئين بالإحسان:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢]

تبقى مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الفرد في المجتمع المسلم،حيث عاتب القرآن أبا بكر ﷺلتوقفه عن الصدقة على من خاضوا في حديث الإفك،وفي الآية نفسها امتدحه -ﷺ - بوصفه أنه من أولي الفضل،حيث ناسب ذلك لفظ ﴿الفضل﴾ بالتعريف،يقول الرازي "الألف واللام يفيدان العموم،فالألف واللام في الفضل والسعة يدلان على أن كل الفضل وكل السعة لأبي بكر كما يقال فلان هو العالم يعني قد بلغ في الفضل إلى أن صار كأنه كل العالم وما عداه كالعدم وهذا وأيضاً منقبة عظيمة"(٢)"والأوصاف في قوله: ﴿أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مقتضية المواساة بانفرادها،فالحلف على ترك مواساة واحد منهم سد لباب عظيم من المعروف"(٣).

(١) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ص ١٦٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٥٢.

وعلى ذكر التزكية والطهارة تجيء الدعوة إلى الصفح والمغفرة بين المؤمنين،وناسب ذلك اختيار صيغة المصدر في ﴿ **أَن يُؤْتُوا**﴾ للأمر بدوام الاستمرار في العطاء والإتقان،وقد أطلق الإيتاء ولم يقيده لإفادة شمول المنافع،﴿ **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** ﴾ وفعل الأمر هنا دليل على استمرار العفو والصفح عمن وصلتنا إساءته حتى يرتقي المجتمع إلى أعلى مراتب الأخوة،ويقع نور الوحدة في قلب كل مؤمن منتسب إلى المجتمع الإسلامي،والجمع بين العفو والصفح للإشعار بالتجاوز عن الذنب وترك العتاب عليه والإعراض عن الإساءة كأنها لم تكن بحيث لا يبقي في النفس منها شيء،حتى أنه نص على الحب في قوله :﴿ **أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّـهُ لَكُمْ وَاللَّـهُ غَفُورٌ** ﴾ فهذا تعليل للعفووالصفح،وتوجيه الخطاب لعرض المحبوب والمخالطة بما تمناه كل نفس.

وفي لفظ ﴿ **تُحِبُّونَ** ﴾ تنشيط وحث على قبول العفو والصفح لأبي بكر ﷺ"حتى يرتفع على الآلام،ويرتفع على مشاعر الإنسان،ويرتفع على منطق البيئة ،و تشف روحه وترف وتشرق بنور الله،فإذا هو يلبي داعي الله في طمأنينة وصدق يقول : بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي . ويعيد إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه،ويحلف : والله لا أنزعها منه أبداً . ذلك في مقابل ما حلف : والله لا أنفعه بنافعة أبداً،وبذلك يمسح الله على آلام ذلك القلب الكبير،ويغسله من أوضار المعركة،ليبقى أبداً نظيفاً طاهراً زكياً مشرقاً بالنور "[1].

٨- قذف المحصنات :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور:٢٣]

مازال الوعيد الشديد لمن خاض في حديث الإفك،ولمن سار على منوالهم إلى قيام الساعة،حيث ناسب لفظ ﴿ **المحصنات** ﴾ ؛لأن العفاف حصنهن من الوقوع في مثل هذا الاتهام "والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها " قالت عائشة رضي الله عنها :(رميت وأنا غافلة وإنما بلغني بعد ذلك فبينما رسول الله ﷺعندي إذ أوحى الله إليه فقال أبشري وقرأ ﴿إِنَّ

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٥٠٥.

الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِناتِ ﴾"[١]والجمع باعتبار أن رميها رمى لسائر أمهات المؤمنين ؛لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله صلى الله عليهوسلم"[٢]فتوعدهم باللعن في الدنيا والآخرة .

واختيار صيغة المضارع في ﴿ **لعنوا** ﴾؛ لاستمرار لعنتهم وطردهم من رحمة الله تعالى،وفي ذلك ردع للمجتمع بأكمله عن إطلاق الألسنة،وجرح الأعراض،من غير تثبت ولا بينه،فهو هدم للوحدة الصغرى من وحدات المجتمع، ومن ثم هدم المجتمع بأكمله،فكيف يهنأ الفرد وعرضه يلطخ من كل فاسق.فقال تعالى :﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيم**﴾ وناسب التعبير عنهم بالغيبة ؛استحقاراً لهم وإبعاداً،ودليل على اختصاصهم بالعذاب،ولثبوت العذاب عليهم في سياق الجملة الاسمية،وتنكير العذاب ﴿ **عَذَابٌ** ﴾ تهويل وتعظيم أمره،وبيان أنه لا يطاق لبشاعة ما اقترفوه من جناية.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]

واختيار لفظ الشهادة وكذلك صيغة المضارع في﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ**﴾ ذلك من تصوير حي لموقف حسابهم بين يدي الله تعالى،حيث حكم عليهم بالطرد والإبعاد من رحمته،زيادة على ذلك وجود شهود وشهادات من أنفسهم بل جوارحهم،وفضحهم والتشهير بهم،فتلك الجوارح تشهد بما عهدت عمله في الدنيا،" وتخصيص هذه الأعضاء بالذكر مع أن الشهادة تكون من جميع الجسد كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ ؛لأن لهذه الأعضاء عاملاً في رمي المحصنات فهم ينطقون بالقذف،ويشيرون بالأيدي إلى المقذوفات،ويسعون بأرجلهم إلى مجالس الناس لإبلاغ القذف"[٣]،ثم جمع في قوله تعالى:﴿ **بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون** ﴾ " بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا[٤]".

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: ٢٥]

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٣، ص١٦٨.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،أبو السعود، ج ٦، ص ١٦٥، ١٦٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٥٣.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج ٦، ص١٦٦.

لقد ناسب لفظ الدين دون غيره ؛ لأن "المراد جزاء عملهم والدين بمعنى الجزاء مستعمل كقولهم كما تدين تدان وقيل الدين هو الحساب كقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم:٣٠] أي الحساب الصحيح ومعنى قوله الْحَقّ أي أن الذي نوفيهم من الجزاء هو القدر المستحق لأنه الحق وما زاد عليه هو الباطل"(١).

فالتعبير بلفظ ﴿**يوفيهم**﴾ ؛للإشعار بأنهم يأخذون جزاءهم كاملاً،وفي هذه الآية حقيقة في الحياة أن الجزاء في الأعمال الدنيوية سواء كان في حق العباد،أو في حق خالقهم فإن الله عدل منصف في حكمه وجزائه،وتقديره لما يستحقه عباده،وهذا من إشعاعات سورة النور"وقد علم من هذه الآيات،وما سبقها من أول السورة وما لحقها إلى آخرها أن الله تعالى ما غلظ في شيء من المعاصي ما غلظ في قصة الإفك،ولا توعد في شيء ما توعد فيها،وأكد وبشع،ووبخ وقرع،كل ذلك إظهاراً لشرف رسولهﷺ وغضباً له وإعظاماً لحرمته وصوناً لحجابه"(٢).

٩- كل إنسان وما شابهه:

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:٢٦]

ذكر الرازي في تناسب ألفاظ هذه الآية "اعلم أن الخبيثات يقع على الكلمات التي هي القذف الواقع من أهل الإفك،ويقع أيضاً على الكلام الذي هو كالذم واللعن،ويكون المراد من ذلك لا نفس الكلمة التي هي من قبل الله تعالى بل المراد مضمون الكلمة ويقع أيضاً على الزواني من النساء وفي هذه الآية كل هذه الوجوه محتملة فإن حملناها على القذف الواقع من أهل الإفك كان المعنى الخبيثات من قول أهل الإفك للخبيثين من الرجال وبالعكس والطيبات من قول منكري الإفك للطيبين من الرجال(٣)" "ولما كان ذلك لا يفهم أن الخبيث مقصور على الخبيثة قال :﴿ والخبيثون ﴾ أي من الرجال أيضاً ﴿ للخبيثات ﴾ أي من النساء .

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ١٦٩.

(٢) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص٢٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب، للرازي، ج٢٣، ص ١٦٩

ولما أنتج هذا براءتها رضي الله عنها ؛لأنها قرينة أطيب الخلق،أكده بقوله : ﴿ والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴾ بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى شكله،ويفعل أفعال مثله،وهو سبحانه قد اختار لهذا النبي الكريمﷺ ؛لكونه أشرف خلقه خلّص عباده من الأزواج والأولاد والأصحاب وكفى بهذا البرهان دليلاً على براءة الصديقة رضي الله عنها "[1]

يقول المودودي: إن الله تعالى بيّن في هذه الآية مبدأ مهما من مبادئ الحياة الاجتماعية في الإسلام وهو أن النفوس الخبيثة لا تمتزج إلا مع النفوس الخبيثة من مثلها،والنفوس الطيبة لا تمتزج إلا بالنفوس الطيبة من مثلها،فهذا إشعاع من إشعاعات سورة النور على الفرد والمجتمع الذي تغلغل حتى طبائع البشر[2].

١٠ – آداب الاستئذآن:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ [النور:٢٧]

"إن الإسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء مجتمعه النظيف،إنما يعتمد قبل كل شيء على الوقاية، وهو لا يحارب الدوافع الفطرية ،ولكن ينظمها ويضمن لها الجو النظيف الخالي من المثيرات المصطنعة والفكرة السائدة في منهج التربية الإسلامية في هذه الناحية،هي تضييق فرص الغواية،وإبعاد عوامل الفتنة؛ وأخذ الطريق على أسباب التهييج والإثارة، مع إزالة العوائق دون الإشباع الطبيعي بوسائله النظيفة المشروعة [3].

وقد بدأ الآية بالنداء بوصف الإيمان ؛لأنه أدعى للاستجابة،فالمؤمن الحق هو من يسارع في فعل أوامر الله واجتناب نواهيه،ولعله خاطب الجمع؛ لأنهم في مظنة أن يطردوا الشيطان بتزيين بعضهم بحضرة بعض بلباس التقوى،فمن خان منهم منعه إخوانه فلم يتمكن منه شيطانه،فنهي الواحد من باب الأولى[4]. واختيار صيغة المضارع في النهي عند الدخول لدلالة الاستمرار في النهي

(١) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص٢٥٠.

(٢) تفسير سورة النور،أبو الأعلى المودودي ،دار ابن قتيبة، الكويت، ص ١٣٧.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص٢٥٠٧

(٤) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص ٢٥٢.

المقيد كما في الآيات،فكان ذلك الاختيار أنسب في تفصيل الأحكام والوقاية التي تتضمنها السورة لما يترتب على ذلك جرح نفسي ومعنوي في المخالفة.

﴿**حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا** ﴾و"الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف : استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهراً مكشوفاً . والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال "[١] فالاستئناس يجمع ما بين الاستئذان والاستئناس؛ لأن الذي يقرع باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا؟ فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فإذا أذن له أستأنسوزال عنه الاستيحاش"[٢] وهي لفتة دقيقة لطيفة،لرعاية أحوال الناس،ولتقدير ظروف الناس في بيوتهم وما يلابسها من ضرورات لا يجوز أن يشقى بها أهلها ويحرجوا أمام الطارقين في ليل أو نهار.

١١- حفظ الأعضاء عن ما حرم الله:

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]

إن إطلاق العنان للبصر،هو مبدأ كل فتنة،وقتلة الشرر في كثير من الفواحش،وحفظ البصر يحتاج إلى جهاد كبير في ضبط النفس،فناسب ذلك توجية الأمر لمقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنه ؛" أعلى خلقه فهماً وأشدهم لنفسه ضبطاً دون بقيتهم،إشارة إلى صعوبة الأمر وخطر المقام،مخوفاً لهم بالإعراض عنهم،بالتردي برداء الكبر،والاحتجاب في مقام القهر"[٣] أيضاً لإضفاء الهيبة والخوف على هذا الأمر،واختصاص المؤمنين بالأمر "لأنه لا يعف إلا من رسخ الإيمان في قلبه لخفاء الخيانة،حيث كان التعبير بـ ﴿الذين آمنوا﴾ "[٤].

" وتقديم الغض؛ لأن النظر بريد الزنا ورائد الفساد"[٥] "وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في أمر النظر من السعة "[٦]، وناسب ذلك اختيار لفظ ﴿ **يَغُضُّوا** ﴾ ؛لأنه يجمع بين

(١)الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص٢٣٠.

(٢) الكشاف ،الزمخشري، ج٣، ص٢٣٠.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص ٢٥٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٥٥.

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص ١٧٠.

(٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٦٩.

الذلة والحياء مع خفض للبصر فالمسوغات لهذا الخفض عظيمة هو ذلة من الله وحياء من عصيان أوامره لمن رسخ الإيمان في قلوبهم،وكان ذلك من سبل صلاحهم وصلاح مجتمعاتهم حيث أنه قرن- سبحانه – ذلك بالقيمة الأخلاقية المؤسسة له بقوله :﴿ **أَزْكَى لَهُمْ** ﴾ فاختيار الاسم؛ لثبوت التطهير لهم،خوفاً من الزنا وما يجره من الفقر والموت والطاعون .

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١]

خصص الخطاب للنساء في النهي؛ لأنه" عُرف منهن التساهل فيها ونهيهن عن إظهار أشياء تعودن أن يحببن ظهورها، وجمعها القرآن في اللفظ الزينة بقوله: ﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ "[1]، والتصريح بالزينة هنا ؛لأنها من الأمور التي تثير الأمور الحساسة لدى الرجال،وإطلاق الزينة هنا لتشمل الزينة الخلقية من حسن وجمال وتشمل الزينة المكتسبة: وهي ما تصنعه المرأة في تحسين خلقها بالتصنع كالكحل والخضاب وغيره.

وبهذا يكون تفصيل في طرق الوقاية من الوقوع في الحرام؛ وهذا من الأساليب الوقائية التي تنص عليها السورة.

أما استثناء الظاهر من الزينة ففي هذا تلبية للفطرة المجبولة على حب التزين " والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية؛ ولكنه ينظمها ويضبطها،ويجعلها تتبلور في الاتجاه بها إلى رجل واحد هو

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٦٤ .

شريك الحياة يطلع منها على ما لا يطلع أحد سواه "[١]،واختيار لفظ "الضرب" دون الإرخاء أو غيره " مبالغة في الإلقاء والباء للإلصاق "[٢] وكذلك مبالغة في التستر والاحتشام وبالغ في ذلك للالتزام بالأوامر بتعدية الفعل بـ ﴿على﴾ وإدخال لام الأمر عليه وفي هذا اللفظ تناسب بين رغبة المرأة في إظهار جمالها وإبداء محاسنها،حتى في الصوت ﴿ **وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾،فاختيار الفعل وبناؤه للمجهول فيه تعبير لطيف بالتستر الذي ناسب اخفاء الزينة عند الرجال،بل أمر بضرب الحجاب عليها فهذا تهذيب رباني رفيع .

١٢- الدعوة إلى النكاح والاستعفاف.

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢]

بعد أن تناولت الآيات السابقة مسألة حفظ الفروج،ودعت إلى طهارة الأنساب،عرجت على الحديث عن هؤلاء الرجال والنساء الذين لم يتيسر لهم أمر الزواج؛ ليعالج الموضوع من شتى جوانبه،فقد أمر الحق -سبحانه وتعالى- في الآيات السابقة بالاستئذان صوناً للعورات والحرمات وأوجب غض الأبصار وحفظ الفروج وستر المفاتن ؛ منعاً لإثارة الغرائز،وطرداً للرذيلة بكل صورها،ثم جاءت هذه الآيات ببعض العوامل الأخرى التي تعتبر صمام أمان لحماية المجتمع من الوقوع في مزالق الفتن والمنكرات،وتقضي على دواعي الآثام والشهوات عن طريق -لمتاجرة في الأعراض طلباً للغنى ومعالجة الفقر ومتاع الدنيا الزائل.

وجه الخطاب إلى الجماعة بقوله: ﴿**وَأَنكِحُوا**﴾ بهمزة القطع،إشارة إلى أن المجتمع الإسلامي أسرة واحدة يعين بعضهم بعضاً على طرق الخير،وسلك طرق العفاف بكل طرقها من إعانة وعدم تشديد ومغالاة في المهور وغيرها،وناسب ذلك لفظ الصلاح ؛ حتى لا تكون المادية مقياساً للأمور الإجتماعية في المجتمع المسلم،وذلك متطابق مع الحديث"لتطابق هذه الآية مع الحديث وهو قوله

(١) في ظلال القرآن،سيد قطب، ج ٥، ص ٢٨١٣.

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي، ج ٢٣، ص ١٨٠.

عليه الصلاة والسلام (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)"[١].

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [النور:٣٣]

بعد الأمر بالزواج والترغيب فيه ؛ لسد باب الزنا إذ هو خير معين على غض البصر،وحفظ الفرج،أمر من لا يستطيعه لشدة الفقر بالاستعفاف،وفي اختيار لفظ ﴿ليستعفف﴾ هذا اللفظ طرق شتى الوسائل لطلب العفة،فالله سبحانه لم يقل: (وليعف)؛ لأن إضافة "السين والتاء للمبالغة في الفعل،أي وليعف الذين لا يجدون نكاحا. ووجه دلالته على المبالغة أنه في الأصل استعارة. وجعل طلب الفعل بمنزلة طلب السعي فيه ليدل على بذل الوسع"[٢]في تحصيل العفاف؛ أماناً وحفاظاً على هذا المجتمع الإسلامي من الهدم والانحلال في الدنيا،والسعادة الأخروية والمباهاة بكثرة أمة محمد صلى الله وعليه وسلم في الآخرة . ﴿ **حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ف ﴿حتى﴾ في هذه الآية هي ؛لإفادة الغاية من الاستعفاف وذكر المال هنا؛ لأن" أغلب الموانع على النكاح عدم المال وعد بالإغناء من فضله،فيرزقه ما يتزوج به،أو يجد امرأة ترضى باليسير من الصداق،أو تزول عنه شهوة النساء"[٣]وأنها وسيلة للغنى والدليل على ذلك صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿**يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ**﴾،وإظهار لفظ الجلالة تأكيد آخر منه سبحانه على حفظ رزقهم والوعد بغناهم المستمر متى ما سلكوا طريق الاستعفاف حتى يجدوا الزواج،وبهذا دافع وجداني وتعليق القلوب بباريها الذي يعلم دقائق خلقتها سبحانه.

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٣، ص١٨٣.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ١٧٤.

(٣) الجامع لأحكام القران، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م دار الكتب المصرية – القاهرة، ج١٢، ص ٢٤٣.

وفي قوله تعالى :﴿**وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء** ﴾والتعبير بلفظ الفتيات فضلاً عن الإماء والتخصيص بـ ﴿**فَتَيَاتِكُمْ**﴾ ؛لأنهن إمائهم المختصات بهم والمسؤلات منهم،وهذا يقتضي المحافظة عليهن.

يقول البقاعي:" ولعله عبر بلفظ الفتوة هزاً لهم إلى معالي الأخلاق،وتخجيلاً من طلب الفتوة من أمة "[١] واختيار لفظ (التحصن)على وزن التفعُّل في ﴿ **إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا** ﴾

"وفي ذلك زيادة تقبيح للإكراه على هذا الفعل، حيث كانت النساء مطلقاً يتعففن مع أنهن مجبولات على حبه،فكيف إذا أُلجئن إليه،وأشار بصيغة التفعل وذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن عفة بالغة،زاد في تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار في قوله : ﴿ ابتغوا ﴾ أي تطلبوا طلباً حثيثاً فيه رغبة قوية بإكراههن على الفعل الفاحش،عرض الحياة الدنيا فإن العرض متحقق فيه الزوال،والدنيا مشتقة من الدناءة "[٢]وحياة المسلم أرقى من ذلك العرض الدنيوي الرخيص .

وفي هذا تناسب مع موضوع السورة في تطهير البيئة الإسلامية،وإغلاق السبل القذرة للتصريف الجنسي،ومراعاة لنفوس عباده على اختلاف طبقاتهم وأنسابهم،ومادياتهم،فالأخلاق والآداب والأحكام يجب أن يلتزم بها جميع فئات المجتمع مهما كانت الغايات والمبررات،حتى يسموا الفرد بأخلاقه ويلزم من ذلك سمو المجتمع كذلك.

(١) نظم الدرر، القاعي، ج ٥، ص ٢٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٦٢.

المقطع الثاني:
من آية ٣٥– ٤٦

١– محور السورة (مثل نور الله ﷻ)

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾ [النور:٣٥]

في الآيات السابقة من السورة عالج السياق أغلظ ما في الكيان البشري ليرققه ويطهره وليرتفع به إلى آفاق النور، عالج كرامة اللحم والدم،وشهوة العين والفرج،ورغبة التجريح والتشهير وعالج الفاحشة أن تشيع في كل صورها، فشدد بحد الزنا،وحد القذف فعالجها بالوسائل الوقائية،بالاستئذان على البيوت،وغض البصر،وإخفاء الزينة والنهي عن مثيرات الفتنة،وموقظات الشهوة ثم بالإحصان ومنع البغاء وتحرير الرقيق كل أولئك ليأخذ الطريق وتهيئة النفوس للاستعلاء والشفافية والإشراق على وجه العموم،أما وجه الخصوص فد هيأ نفسية النبي –ﷺ– ونفسية أبي بكر –رضي الله عنه– ونفسية عائشة –رضي الله عنها –بعدما خلفته حادثة الإفك من غيظ وغضب واضطراب في المقاييس وقلق في النفوس ،فإذا هي نفوسهم راضية قريرة العين مطمئنة هادئة بتبرئة الله لهم ،فثابت نفوسهم شاكرة لله وطامعة في رحمته وهدايته التي عمت الكون كله، بل تغلغلت إلى داخل الوجدان.

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾

فقد ابتدأت الآية باسم الله تعالى؛ لإضافة الثبوت والإستمرار وذلك مستمد من صياغة الجملة الاسمية،ثم خص الله لفظ ﴿ نُورُ ﴾ بالتنكير لإضافة الشمول والعموم على الكون كله.

يقول الشوكاني: "لما بين سبحانه من الأحكام ما بين أردف ذلك بكونه سبحانه في غاية الكمال فقال: ﴿ الله نور السموات والأرض﴾ وهذه الجملة مستأنفة لتقرير ما قبلها" [١].

وذكر ﴿ **السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾؛لأنهما الظاهرتان المشاهدتان للعيان فنور الله ﷻ شامل الكون كله،وإضافة النور إليهما للدلالة على شيوع إشراقه وشموله بكل ما فيهما من جزيئات؛ ليكون بذلك شامل إلى ضمائر العباد التي يبعث الله فيها الهداية والنور ؛يقول صاحب الكشاف :" وأضاف النور إلى السماوات والأرض لأحد معنيين : إما للدلالة على سعة إشراقه وفشوّ إضاءته حتى تضيء له السماوات والأرض، وإما أن يراد أهل السماوات والأرض وأنهم يستضيئون به"[٢] "كذلك اختيار المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت إنما هي تمثل حلقات الإيمان،بدءً بشجرته ثم زيته وفتيله ونوره وزجاجته ومشكاته،وكلها قلبية بل إنها إشارة إلى هداية الله ونوره الذي يقذفه في قلب المؤمن"[٣].

٢-من أعمال المهتدين:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾

[النور:٣٦]

يقول أبو السعود: " لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير إلى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير إلى أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه"[٤]فقد ذكرت هذه الآية أشرف الأعمال التي تدخل نور الله في القلوب،وهي تدور حول إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والخوف من اليوم الآخر وذكرت هذه الأعمال مرتبة بحسب الأهم والأعم ؛ولأن المساجد هي أفضل الأماكن التي يذكر فيها الله تعالى صدرت بها الآية

(١) فتح القدير، الشوكاني، ج ٤، ص٣٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢٤٦.

(٣) ينظر: أسوار العفاف، د عصام العويد – ملتقى أهل التفسير.
vlYrIU٠/#.VsAY٢٤٠٤٤http://vb.tafsir.net/tafsir

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج٦، ص ١٧٨.

الكريمة،وتنكير ﴿ بُيُوتٍ ﴾؛ لتفخيم شأنها وتعظيم قدرها وبيان أنها بيوت ليست كسائر البيوت وقد أكد ذلك بالأمر برفعها وعمارتها وذكر الله عز وجل فيها.

وتخصيص التسبيح في ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾؛وذلك لانشغال الناس في تلك الأوقات بأعمالهم الدنيوية؛ واختيار صيغة المضارع لقصد شمول التسبيح في كل الأوقات حتى تتعلق القلوب بباريها ويتمكن الإيمان منها؛ فهو الرادع ضد الوقوع في مزالق الرذيلة،ومن صفات هؤلاء الرجال أنهم ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]

فاختيار التنكير لـ﴿ رِجَالٌ ﴾ يفيد التفخيم والتعظيم،وتخصيص التجارة بالذكر؛ لأنها من أقوى ما يصرف العرب ولأن العرب أهل تجارة وكثيرا من الأحكام في هذه السورة تعلقت بالكسب المادي قبل الرغبة في نكاح الزواني وإكراه الإماء على البغاء وغيره، وكذلك أن لزوم الطاعة وإقامة الصلاة يطرح الله نوره وهدايته على تجارة عبده ورزقه فيشملها بركته وفضله.

"قال الكلبي : التجار هم الجلاب المسافرون،والباعة هم المقيمون "[1]فمع انشغالهم وتجارتهم لم يلهوا عن ذكر الله .

٣- حقيقة أعمال الكافرين:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور:٣٩]

بعد أن بينت الآيات السابقة أعمال الذين تمكن من قلوبهم النور الرباني فاهتدوا فنالهم الثواب العظيم، بينت تلك الآيات الفريق المقابل لهم وهم الكافرون الذين لم يهتدوا بنور الله تعالى، فهو ضلال في الأعمال ناتج من ضالين عند الطريق المستقيم،وقد سلك القرآن في ذلك البيان طريق التصوير البياني الذي ستتم دراسته في الفصل الثاني -إن شاء الله-.

(١) النكت والعيون، الماوردي، ج ٤، ص ١٠٧.

قال تعالى: ﴿ **يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء** ﴾ في هذا الاختيار أعمق وأدق مع مناسبة جو السورة الذي تغلغل إلى الوجدان، فمنهم لم يكتفوا بالنظر بل جزموا بالاعتقاد وهذا أشد ألماً لكل من أغلق قلبه عن نور الله تعالى يقول ابن أبي الأصبع المصري" "ولو قيل يحسبه الرآئي ماء لكان بليغاً،وأبلغ منه لفظ القرآن ؛لأن الظمآن أشد حرصاً عليه وأكثر تعلق قلبه به "[1] .

﴿ **وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ** ﴾ هو منهج هذه السورة بكثرة الوعد والوعيد سواء للمؤمنين أو الكافرين وعد جميل للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿**أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** ﴾،ووعيد كما في هذه الآية وهذه تخلق المراقبة القلبية في قلب المؤمن الذي يتعظ بحال الكافرين.

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]

﴿ **ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ** ﴾ فتنكير ﴿**ظُلُمَاتٌ**﴾؛ لتفخيمها ولتهويلها؛ لأن ظلمات البحر أشد بكثرة من ظلمات البر،فهذه مقابلة بين النور الذي يشمل قلوب المؤمنين بهدايتهم إلى الطريق المستقيم وبين تلك الظلمة التي شملت أعمال الكافرين فحجبت قلوبهم عن رؤية وقبول النور الحقيقي.

﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾ واختيار اليد ؛لأنها الأقرب إليه في ذلك الموقف،﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّور** ﴾والتعبير بالموصول ؛لإفادة العموم،وتنكير النور؛ لاستغراق نفي جميع أنواع النور ولو كان ضئيلا عن هؤلاء الذين لم يرد الله تعالى هدايتهم وهذا؛ البون الشاسع بين الحالين نصت عليه السورة في بيان أصناف المجتمع من مؤمن وكافر ومنافق.

٤- دلائل قدرة الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١]

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق الدكتور: حنفي محمد شرف، القاهرة ١٤١٦هـ.١٩٩٥ م، ص ١٦٠ .

لقد نهج القرآن الكريم في الدعوة إلى التفكر والتأمل في الآيات الكونية بعد سرد الأحكام والحدود في كثير من سور القرآن،" والمقصود بالرؤية رؤية الفكر أي قد علمت علماً يقيناً شبيهاً بالمشاهدة موثقاً بالوحي،فانتبه لتسبيح من في السماوات والأرض لله،وتأمل عظمته وقدرته،إذ كل من في الكون شاهد عليها"[١] لأن هذا منهج قلبي لتعليق العباد بربهم فهم لا يفتئون بين تذكر وتفكر حتى يثبت نور الهداية في تلك القلوب "وتخصيصها بالذكر عليه مع اندراجها في جملة ما في الأرض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وإنشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح أنبائها على كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها.

ويعرب عن ذلك التقييد بقوله تعالى : ﴿صافات﴾"[٢] وكذلك "المقابلة بين مخلوقات الأرض والسماء بذكر مخلوقات في الجو بين السماء والأرض ولذلك قيدت ب ﴿صَافَّاتٍ﴾"[٣] وهذا متناسب مع الأحكام التي سيقت في السورة والآداب والأخلاق فعلم الله تعالى المحيط الشامل الدقيق قد أحاط بخلقه جميعهم فهو سبحانه أعلم بمصالحهم ودقائق أمورهم،وختم الله تلك الآيات: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور:٤٦] فالتعبير بإنزالنا إظهار الامتنان وتعظيم شان الآيات المنزلة بإسناد الإنزال إلى نون العظمة،لأن معالجة قضايا الخلق على مستوى الجماعة والأفراد لا يستطيعها إلا الله سبحانه وتعالى.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطيه الأندلسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠٠٢م ١٣٦٦

(٢) روح المعاني، الألوسي، ج٩، ص٣٧٩.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢٠٧.

المقطع الثالث:

من آية ٤٧ – ٦٤

١ – صور من خداع المنافقين:

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النور:٤٧]

جاءت هذه الآيات ببيان شريحة أخرى من المجتمع لم يشأ الله تعالى هدايتهم وهم المنافقون،فجاءت هذه الآيات لتنفي عنهم الهداية والإيمان معاً، ولتشد من عزم أهل الإيمان؛ ليتوجهوا إلى ما يكمل لهم إيمانهم،يقول ابن عاشور: "ففي قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إيماء إلى أن حظهم من الإيمان مجرد القول دون الاعتقاد كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ،وعبر بالمضارع لإفادة تجدد ذلك منهم واستمرارهم عليه لما فيه من تكرر الكذب ونحوه"[1] وفيه إشعار بالإعراض عنهم بعدم التصريح بذكرهم.

وحرف الباء ﴿بالله – بالرسول﴾ للمبالغة في دعوى الإيمان،إذ يشعر باعترافهم برسالته إلا أن الله كشف خبثهم وخداعهم في آيات النور التي وضح نورها خفايا قلوب المنافقين،وكذلك قسمت لنا النور إلى هادي وكاشف فهادي إلى صراط الله وكاشف لنفاق المنافقين،حيث نفى الإيمان عنهم بقوله :﴿ **وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِين** ﴾ نفي الله عنهم الإيمان بالتعبير عنهم في الإشارة؛ لتحقيرهم وبيان منزلتهم في الفساد،وتعريف المؤمنين لإيضاح البون الشاسع بين الفئتين وأن المؤمنين هم الفئة المعهودة المعروفة بإيمانهم وأن هؤلاء المنافقين ليسوا منهم.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [النور:٥١]ففي ختام الآية تأكيد على فلاح المؤمنين وتخصيصهم للفلاح

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢١٥.

دون غيرهم،فعرفوا باسم الإشارة للبعيد لتعظيمهم وتميزهم بالفلاح أكمل تمييز،فتلك ألفاظ أنارت مكانة كل فئة على حسب عملهم من مؤمن ومنافق.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور: ٥٢]

في هذه الآية ترغيب وحث على الطاعة للفائزين،وقد جاءت الأفعال على صيغة المضارع لإفادة الحدوث والتجدد ؛لأن الطاعة والتقوى أفعال تتجدد،وفي تلك الألفاظ ترسم لنا سورة النور المنهج الرباني في النجاة في الدنيا والآخرة،وهو ملازمة الطاعة لله ولرسوله مع التقوى وبذلك،ينفي كل تلك الصفات عن المنافقين في الآية السابقة "فجمعت الآية أسباب الفوز في الآخرة وأيضا في الدنيا"[١].

﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور: ٥٤]

فلقد عبر بالتحميل في حقه -ﷺ- فيه إشعار بثقل الوحي وعظمة المهمة التي كلف بها من التبليغ،"ولعل التعبير عنه بالتحميل للإشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كأنه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل "[٢].

٢- وعد الله للمؤمنين:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥]

(١) التحرير والتنوير،ابن عاشور، ج١٨، ص ٢٢١.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٦، ص ١٨٩.

ختمت الآيات السابقة ببيان طريق الهداية والفلاح للمؤمنين،وفي هذه الآيات بيان لهذا الوعد العظيم من الله تعالى لعبادة فكأنه نور الرحمة والوعد بالخير يدخل إلى قلوب المؤمنين في الدنيا قبل الآخرة.

بدأت الآيات بكلمة ﴿ **وَعَدَ** ﴾ "والوَعْد: بشارة بخير لم يَأْتِ زمنُه بعد،حتى يستعد الناس بالوسيلة له،وضِدّه الوعيد أو الإنذار بشرٍّ لم يأتِ زمنه بعد،لتكون هناك فرصة للاحتياط وتلافي الوقوع في أسبابه"(١).

وهذه إشعاعات فرح تدخل القلوب المؤمنة الطاهرة وتسر خواطرهم لاسيما أنه وعد من الله -عز وجل- الذي لا يخلف الميعاد" والمراد بالأرض في ﴿**لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ** ﴾ إذا جاءت الأرض هكذا مُفْردةً غير مضافة لشيء فتعني كل الأرض،ثم يقول تعالى: ﴿**وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ** ﴾ ففوق الاستخلاف في الأرض يُمكِّن الله لهم الدين،ومعنى تمكين الدين: سيطرته على حركة الحياة،فلا يصدر من أمور الحياة أمر إ لا في ضوئه وعلى هَدْيه،لا يكون ديناً مُعطّلاً كما نُعطِّله نحن اليوم،تمكين الدين يعني توظيفه وقيامه بدوره في حركة الحياة تنظيماً وصيانة"(٢).

وبعد بيان الوعد العظيم للمؤمنين بينت الآيات فيمن تجاوز الحد بكفرهم وعصيانهم فقال تعالى: ﴿ **وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون**﴾ والإشارة إلى الوعد العظيم ﴿بذلك﴾ يشعر بعلو منزله الوعد وعظمة شأنه،"ذلك الإيمان منهج حياة كامل،يتضمن كل ما أمر الله به،ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب،وإعداد العدة،والأخذ بالوسائل،والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض . . أمانة الاستخلاف،فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟

إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم . . إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء؛ وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه؛ وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض،اللائق بخليقة أكرمها الله "(٣).

---

(١) تفسير الشعراوي، الشعراوي ،ص ٢٨١٧.

(٢)المصدر نفسه، ص٢٨١٧.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٥٢٩.

٣- استئذان الموالي والأطفال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٨ ﴾ [النور:٥٨]هذه الآيات في منظور القرآن شاملة كل نشاط يكون فيه الاتجاه إلى الله تعالى،وفي اتباعها وتطبيقها طاعة لله تعالى،والدليل على ذلك ما نصت عليه الآيات من تشريعات اجتماعية بعد التشريعات الدينية الخاصة بأهل الإيمان،كذلك تكون هذه وضحت آداب الحركة داخل البيت الواحد بعد أن ذكرت السورة أحكام الدخول على بيت الغير بعد أن فصلت بينهم ثمانٍ وعشرون آية؛ اهتماماً بهذا النوع من الآداب التي لا يسهل تنفيذها؛ولأنه يكثر فيها التساهل أكثر مما يدخل في بيوت الغير،وهذا يترتب عليه أخطاء لا تحمد عقباها.ولذا ناسب أن يؤخر الله تبارك وتعالى هذا النوع من الاستئذان لأنه يحتاج إلى جهاد في التطبيق يختص به المؤمنين الخلص حتى يقولوا سمعنا وأطعنا،وكذلك الفصل بين النوعين من الاستئذان حتى يتبين أهمية كلٍ منهما فقد صدرت الآيات بالنداء لبيان أهمية ما يعقبه من أحكام وكذلك الاختصاص للمؤمنين لرفع مكانتهم في تطبيق شرع الله تعالى وأنهم أهل لذلك وأن الحياة الطيبة هي التي ترسم لهم.وأما قوله تعالى :﴿ **لِيَسْتَأْذِنكُمُ** ﴾فقد وجه الأمر بالمضارع المقترن بـ(لام) الأمر للمستأذنين وهم الأطفال والموالي،وفي ذلك تناسب أسلوب التربية التي نصت عليه السورة من بدايتها،" فكان من القبيح أن يرى مماليكهم وأطفالهم عوراتهم لأن ذلك منظر يخجل منه المملوك وينطبع في نفس الطفل لأنه لم يعتد رؤيته،ولأنه يجب أن ينشأ الأطفال على ستر العورة حتى يكون ذلك سجية فيهم إذا كبروا،ووجه الخطاب إلى المؤمنين وجعلت صيغة الأمر موجهة إلى المماليك والصبيان على معنى: لتأمروا الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم أن يستأذنوا عليكم،لأن على أرباب البيوت تأديب أتباعهم،فلا يشكل توجيه الأمر إلى الذين لم يبلغوا الحلم "[1].

٤- رخص ترفع الجناح:

﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٦٠ ﴾ [النور: ٦٠]

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص٢٣٤.

بينت الآيات آداب الاستئذان بطائفة شديدة العلاقة بالعائلة من مماليك وخدم وأطفال،بينت هذه الآيات أحكام فئة أخرى خاصة وهى لها ظروف وملابسات ترفع عنها الحرج،واختيار لفظ ﴿الْقَوَاعِدُ﴾وهن "القواعد: جمع قاعد بدون هاء تأنيث مثل: حامل وحائض لأنه وصف نقل لمعنى خاص بالنساء وهو القعود عن الولادة وعن المحيض. استعير القعود لعدم القدرة لأن القعود يمنع الوصول إلى المرغوب وإنما رغبة المرأة في الولد والحيض "[١]

وتخصيص رفض الرجاء للنكاح،أبلغ وأقوى في بيان عدم رغبتهن في النكاح وهذا يتناسب مع قطع كل سبل الفتنة والإغراء التي ربما تهوي وتهز كيان المجتمع.

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النور:٦٣]

واختيار لفظ ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ "والتسلل الخروج من البيت على التدريج والخفية"[٢] وهذا اللفظ متناسب مع ما سبقه من صفات المنافقين وخفائها،وآداب الاستئذان ودقتها،كذلك اختيار صيغة المضارع دليل على استمرار فعلهم وتجدد حدوثه فهذه الصفة ملازمة للمنافقين في كل زمان ومكان .

٥- خاتمة السورة: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النور:٦٤]

"لما أقام سبحانه الأدلة على أنه نور السماوات والأرض، وأنه لا قيام لشيء إلا به سبحانه، وختم بالتحذير لكل مخالف، أتبع ذلك أن له كل شيء "[٣].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢٣٧ .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ابو السعود، ج٦، ص ١٩٨.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٨٩.

فقد بدأت السورة بالفعل ﴿أنزلناها﴾ فهو إنزال من عظيم سبحانه لفرائض على عباده،ثم ختمت السورة بأداة التنبيه ﴿ألا أن لله ﴾للدلالة على الملك والمرد والمرجع لله سبحانه كذلك،فالزمن في البداية والنهاية زمن مطلق سرمدي قديم،وإن ارتبط بصياغة الماضي فهو يدل على الدوام إلى قيام الساعة،فالأحكام المنزلة أحكام ثابتة،تصلح الفرد والمجتمع إلى قيام الساعة،ثم يردون إلى من له ملك السموات والأرض المطلع على جميع أعمالهم في الدنيا،دقيقها وجليلها، ظاهرها وباطنها،ثم يرجعون إليه سبحانه فيحاسبهم على أعمالهم والجزاء من جنس العمل، فهنا رد الختام على المبدأ ،يقول البقاعي في ذلك :"ولما كانت أحوالهم من جملة ما له،كان من المعلوم أنها لم تقم في أصلها ولا بقاء لها إلا بعلمه،فلذلك قال محققاً مؤكداً مرهباً: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾،والمراد بالمضارع هنا وجود الوصف من غير نظر إلى زمان،ولو عبر بالماضي لتوهم الاختصاص به،فلذلك أنزل الآيات البينات،وكانت نور للأرض والسماوات،فقد رد الختام على المبدأ،والتحم بالآخر الأول "[1] ،"وعلى هذا النحو الذي سبق نوع من رد العجز على الصدر على حد قول البلاغيين، ومن ثم تغدو هذه الوسيلة التي وضعها البلاغيون سمة مشتركة بين الخطاب الشعري وبين الخطاب القرآني " [2].

وذكر ابن عاشور في مناسبة بدء السورة مع خاتمتها فقال: " تذييل لما تقدم في هذه السورة كلها. وافتتاحه بحرف التنبيه إيذان بانتهاء الكلام وتنبيه للناس ليعوا ما يرد بعد حرف التنبيه،وهو أن الله مالك ما في السماوات والأرض،فهو يجازي عباده بما يستحقون وهو عالم بما يفعلون،وفي هذه الآية لطيفة الاطلاع على أحوالهم ؛لأنهم كانوا يسترون نفاقهم "[3].

وبعد تناولي لعنصر اختيار المفردات داخل النص، من حيث التناسب الداخلي للنص القرآني، وفق نظرية النظم، التي لم تتعد العلاقات داخل الجملة الواحدة،مع الاعتماد على رؤية

(١) نظم الدرر ،البقاعي ، ج ٥، ص ٢٩٠ .

(٢) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ص ١٩٥.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ٢٥٠.

علماء التفسير من وجهة بلاغية،إلا أن علم المناسبة هو أقرب العلوم إلى اللسانيات الحديثة التي تنظر إلى النص نظرة كلية،وتهتم بالخطاب القرآني بشكل ضمني،وفق منظور إسلوبي .

وسأحاول في الصفحات التالية أن أجمل زبدة ما خرجت به من خلال هذا الفصل، وأهم ما توصلت إليه :هو تلك اللحمة والوحدة الموضوعية في السورة،التي تترابط فيها الموضوعات والمحاور من خلال اختيار المفردات المناسبة وإيحاءتها المختلفة .

إن النظرة الكلية للسورة تبدأ من اسمها،ومن براعة استهلالها،قال تعالى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ [النور: ١] وهي السورة الوحيدة في القرآن التي بدأت بكلمة ﴿سورة﴾،ثم دلالة النور الذي يشع في كل جنبات السورة .

لا حظت من خلال ما سبق أن آية المشكاة هي الآية المحور لهذه السورة،وكلمة﴿ النور﴾ هي الكلمة المفتاح للنص كذلك،فلقد تكرر لفظ ﴿النور﴾ في السورة سبع مرات،بينما ذكر لفظ ﴿النار﴾ مرتان فقط، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [النور:٣٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]

اشعاعات النور في السورة –إذن –ارتبطت بهداية الله سبحانه،هذه الهداية اخترقت الجانب الحسي والجانب المعنوي في حياة المسلم،فحياته ﴿نور على نور﴾، أما لفظ﴿ النار﴾ فلم يذكر إلا مرتين،الأولى :على سبيل النفي،والثانية: على سبيل عذاب الكفار.

ومن اللافت للنظر تكرار لفظ ﴿عظيم ﴾ في حادثة الإفك في قوله تعالى :

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [النور: ١٤]

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥]

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور:١٦]

إن تكرار لفظ ﴿ عظيم ﴾في هذه الآيات له دلاله خاصة تناسبت مع عظمة الحدث،وفظاعته وعظمة الذنب،ومع عظمة المكانة عند الله،إذ ركز التناسب الدلالي على الجانب النفسي للمتلقي.

حيث أدخله في دائرة الخوف والرجاء،فهو يرجو رحمة الله له بالمغفرة وقبول التوبة،مع أن الذنب المقترف له من العظمة عند الله الشيء العظيم،خاصة إذا كانت تتعلق بأشرف خلقه ﷺ وبزوجته أم المؤمنين رضي الله عنها،ثم انتقلت الدلالة من أسلوب الخطاب إلى الدخول في أغوار نفس المتلقي.

وتركز الآيات على لفظ الحسبان،والظن المبني على الهوى النفسي،بقوله ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ ثم توظيف الضمير محاسباً ومؤنباً لهم ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾فالعتاب اللين مع اللفظ العظيم ترك أثراً بالغاً في نفس المتلقي،خاصة إذا تزامنت مع رحمة الله الواسعة وتفضله على عباده بالغفران والتوبة،أما على نطاق العموم فالآيات تلمح إلى اكتساب السلوك السليم الصالح،والابتعاد عن نزعة العدوان التي تحكمها الأهواء النفسية،وغواية الشيطان،فكان هذا التكرار الكلي بلفظه ومقطعه كبير الأثر في تلاحم النص وتناسبه .

ولتكرير لفظ (الرمي)، في السورة ثلاث مرات أكثر من دلالة حيث قال تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون**﴾[النور:٤]

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٦ ﴾ [النور: ٦]

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣ ﴾ [النور: ٢٣]

إن تكرار لفظ الرمي في السورة ثلاث مرات،ليوحي بأن قضية إلقاء التهمة من الصعوبة بمكان،سواء على المستوى الخاص،أو على المستوى العام،فأما على المستوى الخاص فهو جمع بين الإيلام الجسدي والنفسي،خاصة مع ارتباطه بالإحصان والغفلة،فهن أبعد ما يكون عن تلك التهمة الجائرة.

أما على المستوى العام،فهناك خيط دقيق ربط بين موضوعات السورة،فالآية الرابعة،والسادسة،بمثابة التوطئة والتمهيد لحادثة الإفك،ثم تكرر لفظ الرمي بعد سبع عشرة آية،أي بعد حادثة الإفك،مؤكداً على عقوبة القذف،في الدنيا والآخرة،ثم تماثلت فاصلتها مع فاصلة حادثة الإفك ب﴿عَظِيمٞ﴾ فهذا يؤكد قوة التلاحم والتناسب في النص القرآني في سورة النور،مع مراعاة للحالة النفسية للمتلقي، حيث أن الرمي أخف دلالة من القذف[1]،وهذا من سعة رحمة الله وفضله،وعليه فإن المسلم يجب أن يروض نفسه على التثبت والتبين عند سماع أخبار الآخرين،ودراسة المواقف،وعدم السماح للانفعالات الضارة الهادمة للأسرة المسلمة .

ومن الملحوظات الأكثر إضاءة تناسب لفظة ﴿البيان﴾ بصيغها المختلفة في ربط عناصر السورة بعضها ببعض كما في قوله تعالى :﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١ ﴾ [النور: ١] ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ١٨ ﴾ [النور: ١٨] ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٣٤ ﴾ [النور: ٣٤] ﴿ لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤٦ ﴾ [النور: ٤٦]

---

(١) ينظر: من مظاهر الافتراق الأسلوبي بين القرآن والحديث، د. خليل محمد أيوب، موقع الألوكة الشرعية . http://www.alukah.net/sharia/٠/٦٨٠٢٥/

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم﴾ [النور:٥٩]﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤]

وفضلاً عما سبق يتكرر مصطلح الشهادة في السورة إحدى عشرة مرة،مع اختلاف في الصيغ والمناسبات فبين مصلح الشهادة وإشعاعات النور تناسب عبقري عجيب،حيث ينقل المتلقي إلى أغوار النص اللامحدود،فقد شملت الشهادة جميع جوانب السورة،من أشخاص،وأعضاء،وحياة دنيوية وأخروية،إبتداءً بشهادة حد الزناة،وكانت مخصصة للمؤمنين ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور:٢] ،ثم عرّج بشهادة القذف،وتخصيص عدد الشهداء،ثم نفي القذف خارج نطاق المجتمع المسلم ؛لأنه ترك للسانه العنان في الخوض في أعراض المحصنات،وكان هذا بشكل عام في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٤]ثم خصص موضوع القذف بصورة أدق وهو قذف الزوجات في قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [النور :٦] ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾﴾ [النور:٨]

حيث ناسبت الآيات في حيثياتها جميع ما سبق من قضايا مجتمعية وتركز على ذكر الشهادة في آيات القذف تبعاً لعظمة الحكم،ثم انتقلت الآيات إلى أخص من ذلك،وهي قذف بيت النبوة ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور:١٣]فوصفهم بالكذب،دليل على أنه لا أكذب منهم إطلاقاً.

ثم انتقلت الشهادة من حياة إلى أخرى،حيث انتقلت من الحياة الدنيا إلى الآخرة،فذكر سبحانه شهادة الأعضاء عليهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور:٢٤]

ومن التناسب اللفظي في سورة النور تكرار ألفاظ تنتمي لحقل دلالي واحد وهو الزنا وبواعثة،من فاحشة،وبغاء،وقذف،و اتباع خطوات الشيطان. والذي يسمع الله – سبحانه – يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩]

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور:٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور:٢٣]

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور:٣٠]

لقد كانت ألفاظ السورة،سياجاً حصيناً للعفاف والطهر،نفي خلفه كل من حاول أن يدنس هذا العفاف بأي وسيلة كانت،بفعل أو قول أو همز،أو لمز،على مختلف الأصعدة الاجتماعية،سواء كان على مستوى الفرد،أو الأسرة،أو على مستوى المجتمع بأكمله.

ولاحظ البحث أن الزمن في سورة النور أخذ في جل آياتها الزمن المطلق،الذي يكون في صيغة الماضي ولكن أبعاده الدلالية سرمدية أبدية إلى قيام الساعة،كما في قوله تعالى﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ [النور:١] فإنزال الآيات،وفرضية الأحكام والآداب في السورة إلى قيام الساعة.

ولقد تكرر الفعل ﴿أنزلنا﴾ في السورة أربع مرات،شملت جميع جوانب السورة حيث توزعت بانتظام عجيب في السورة،تتكرر بعد كل مجموعة من الأحكام والآداب،حتى تركز في نفس المتلقي أن مدبر هذا الكون،وخالقه،هو الأعلم بخلقه،وشؤونهم وما يصلحهم،وهو الذي أنزل تلك الآيات المدبرة لشؤون خلقه .

وقد يأتي الزمن في صيغة المضارع كما في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ﴾فإن الصياغة في زمن المضارع إلا أنها تجاوزت ذلك بكثير،حيث أن حد القذف مستمر إلى قيام الساعة،وهذه الحدود متى ما شاعت في مجتمع فقد ساده الأمن والأمان .

أما الفعل ﴿تشهد﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتٍ﴾ و﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ﴾ فتماثل الصياغة لم يوحد الزمن،بل إن المفارقة بينهما كبيرة المسافة حيث الشهادة الأولى في الدنيا،والأخرى في الآخرة،والأولى بعض الأشخاص على بعض،والأخرى بعض جوارح الإنسان على بعض .

ومع أن السورة قد ورد فيها الكثير من الأفعال في سياق الأمر،والنهي،وكان ذلك لزاماً في موضوعات الأحكام،وهذه الأزمنة ارتبطت بسياق الآيات فيها،فسورة النور جمعت بين الزمن النحوي الدلالي الصريح،وبين الزمن القرآني الأبدي السرمدي إلى قيام الساعة،كذلك جمعت بين الزمن الدنيوي والأخروي .

(المبحث الثاني)

التناسب في اختيار الجملة في سورة النور:

تناولت في المبحث السابق وجها دقيقاً من التناسب في اختيار الألفاظ المفردة في سورة النور،وفي هذا المبحث سأوضح مفهوم الانزياح موضحة بعض أسرار التناسب التي يراعيها القرآن الكريم في الانزياحات التركيبية أو الدلالية ؛ لما لها من وظائف معنوية وجمالية،وسوف أقتصر على أهمها خشية الإطالة،ولهذا واكتفيت في هذا الفصل بدراسة التقديم والتأخير،والحذف والزيادة،والإيجاز والإطناب،والقصر،والفصل والوصل،والالتفات،مع توضح الصلة بين هذه الأساليب وبين التناسب في النظم القرآني في سورة النور.

مفهوم الانزياح :

" يكاد الإجماع ينعقد على أن الانزياح[١] : خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر،أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفو الخاطر،لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى،وبدرجات متفاوتة "[٢].

والناظر في الدراسات القرآنية يلمس إشارات متعددة إلى خروج النص القرآنيوانزياحه عما هو مألوف،فإذا كان الانزياح قد حظي باهتمام رجال البلاغة والنقد،،فقد لقي رواجاً في كتب الإعجاز،ولعل أول إشارة لذلك كانت في كتاب أبي عبيدة مجاز القرآن حيث قال "ففي القرآن ما في الكلام العربيّ من الغريب والمعاني،ومن المحتمِل من مجاز ما اختُصِر،ومجاز ما حُذف،ومجاز ما كفَّ عن خبره ....ومجاز المقدَّم والمؤخَّر"[٣]"ولقد عرف علماء العربية الانزياح في ظل المعنى المفهومي للعدول،والتوسع والاتساع . ففي النحو نجد العدول متمثلاً في التقديم والتأخير والحذف

(١) هناك تسميات متعددة لهذا المفهوم الأسلوبي، مثل العدول، والانحراف ،والانتهاك ، وكسر النمط، والتجاوز، وخرق السنيين ،والمخالفة، ينظر :الأسلوبية والأسلوب، عبدالرحمن المسدي، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثالثة، تونس، ١٩٨٢م،ص ١٠٠، وينظر :بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل ،ص ٦٤,٦٣.

(٢) الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، ص ١٧٥.

(٣) مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه : محمد فؤاد سزكين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١م، ج١، ص ١٨، ١٩.

ونجده في الصرف بخطاب المذكر بما يخاطب به المؤنث أو العكس،أو مخاطبة المفرد بما يخاطب به الجمع "[١].

المطلب الأول :التناسب في التقديم والتأخير

"يمكن تحديد مفهوم التقديم والتأخير في نظم الكلام وتأليفه،بأنه تبادل في مواقع الكلمات،بحيث تترك الكلمة مكانها في المقدمة،لتحل محلها كلمة أخرى ؛ وذلك لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه لو بقيت في مكانها المحدد الذي اقتضته قاعدة الانضباط اللغوي"[٢]، وهو ما يسمى بالانزياح في الترتيب المكاني،فالتقديم والتأخير تغيير في بنية التراكيب الأساسية وانزياح عن الأصل يكسبها تناسباً ودقة،ولهذا فإن ظاهرة التقديم والتأخير يشكل فهماً أسلوبياً يعمل على تلاحم النص وارتباط بعضه ببعض.

يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك: "وجُمْلةُ الأمرِ أنّه ليس إعلامُك الشيء بَغتةً مثلَ إعلامِك له بعدَ التَّنبيهِ عليه والتَّقدمةِ له لأنَّ ذلك يَجري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام ومن هاهُنا قالوا :إنَّ الشيءَ إذا أضْمِر ثمَّ فُسر كان ذلك أفخمَ له من أن يُذكرَ من غيرِ تقدُّم إضمار"[٣] "ومثل هذا التقديم كثير في القرآن،وله من حسن الوقع على من له ذائقة حسنة في الكلام ما ليس لمجئ الكلام على الأصل في الترتيب،وأحسبه من موائز التركيب في الجملة القرآنية "[٤].

ا–التناسب في التقديم والتأخير باعتبار الرتبة :

تقديم المسند على المسند إليه في قوله تعالى" ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]

(١) الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، ص ١٧٧.

(٢) بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف المصرية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٣٨.

(٣) دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص ١١٣.

(٤) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة ٢، ٢٠١٠م، ص ١٢٩.

فقد تقدم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ ﴾ على المبتدأ،وهو الاسم الموصول **(ما)** وهذا لتأكيد شمولية العقوبة لكل من خاض في حادثة الإفك ولكن كل بقدر خوضه "ومعلوم أن نفس ما اكتسبوه لا يكون عقوبة فالمراد لهم جزاء ما اكتسبوه من العقاب في الآخرة والمذمة في الدنيا، والمعنى أن قدر العقاب يكون مثل قدر الخوض"[1] ،وجملة المبتدأ والخبر استئنافية لا محل لها من الإعراب،وهذا متناسب مع هذه الفئة ومع فعلتهم حيث لا محل لهم ولا لخوضهم في جماعة المسلمين، إلا الذين تابوا فتاب الله عليهم كذلك التعبير عنهم بضمير الغيبة؛ حقارة لهم،وتصغيراً،وهذا ما دار في السورة أكمل سواء من أحكام في الدنيا أو عقوبة في الآخرة.

وكذلك في قوله تعالى﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]

فتقديم المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص،ف﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾"المبالغة في إيجاب الامتثال به،والحمل بالترهيب والترغيب ؛وبما أن تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسوق ينبيء عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم،ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع لا سيما إذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة بالذات كما هنا والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه ﷺللمأمور به إليهم وعدم التصريح للإيذان بغاية مسارعته ﷺإلى تبليغ ما أمر به، وعدم الحاجة إلى الذكر، أي إن تتولوا عن الطاعة إثر ما أمركم الرسول ﷺبها فإنما عليه أي على الرسول ﷺما حمل أي ما أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾﴿وعليكم ما حملتم ﴾أي: ما أمرتم به من الطاعة.

ولعل التعبير بالتحميل أولاً؛ للإشعار بثقل الوحي في نفسه ؛وثانيا؛ للإشعار بثقل الأمر عليهم،وقيل : لعل التعبير بذلك في جانبهم؛ للإشعار بثقله وكون مؤنه باقية في عهدتهم بعد ،كأنه قيل : وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل، والتعبير عنه في جانبه عليه الصلاةوالسلام للمشاكلة[2].

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ص ١٥٢.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ج٩، ص٣٩١.

أما في قوله تعالى﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ﴾[النور: ٤٢]

فتقديم المسند على المسند إليه في ﴿ **ولله ملك** ﴾ ؛ "بيان لاختصاص الملك به تعالى في المنتهى إثر بيان اختصاصه به تعالى في المبتدأ، وقيل : إن الجملة لبيان أن ما يرى من ظهور بعض الآثار على أيدي المخلوقات لا ينافي الحصر السابق بإفادة أن الانتهاء إليه تعالى لا إلى غيره، ويكفي ذلك في الحصر، ولعل الأول أولى، وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة والإشعار بعلة الحكم"[1] ،وكذلك ناسبت الجملة الخبرية بيان الملك والسلطان المطلق لله سبحانه المتمثل في أحكامه وتشريعاته المناسبة لدقائق تفاصيل خلقه .

وأما قوله﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[النور: ٢٩]

فتقديم المسند على المسند إليه في قوله تعالى ﴿ **فيها متاع** ﴾؛للتخصيص بعد العام في الآيات السابقة،حيث قال ابن عاشور: "فيكون إيماء إلى أن من لا منفعة له في دخولها لا يؤذن له في دخولها ؛لأنه يضيق على أصحاب الاحتياج إلى بقاعها "[2] ،وهذا التخصيص من وسائل الوقاية التي تحمي من الفواحش،حيث عرف في مثل الأماكن الغير مسكونة بسهولة وصول المفسدين إليها،والله سبحانه يحمي المجتمع من كل وسائل الفساد .

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[النور: ٢]

فقد قدّم المفعول به على الفاعل في قوله: ﴿ **بهما رأفة** ﴾ وذلك؛ للاهتمام في المقدم،فهو مترتب عليه حداً من العبث في أعراض مجتمع بأكمله "لا تمتنعوا عن إقامة الحدود شفقة على

(١)روح المعاني،الألوسي ج ١٨، ص ١٨٩.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٦٢.

المحدود،ولا تخففوا الضرب من غير ايجاع،وهذا قول جماعة أهل التفسير."[١] ،فالرحمة للمحدود،هي قسوة على المجتمع،وظلم له،وفي إقامة الحدود حياة فاضلة للفرد والمجتمع .

وفي قولـه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩ل] فقدم المسند على المسند إليه في قوله تعالى: ﴿**لهم عذاب** ﴾؛ لإفادة اختصاصهم في العذاب و" لثبوت العذاب لهم"[٢].

ب–التناسب في تقديم الجملة القرآنية باعتبار المعاني :–

"استيقظت مقولة الرتبة أو نظم الكلام (أو مبحث التقديم والتأخير) في القرآن أنظار علماء النحو والبلاغة،وشغلت حيزاً ظاهراً من مبحث الإعجاز،بيد أن معالجة البلاغيين لمبحث التقديم والتأخير لم تتوقف عند حدود المشكل اللغوي،بل تجاوزته إلى مسائل أخرى منقطعة الصلة بالرتبة بما هي مقول من مقولات التحليل اللغوي للنص "[٣]وفي هذا المقام إلماح إلى التناسب في التقديم والتأخير كما في الآية السابقة :﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور:٢].

يقول القرطبي في تقديم الزانية على الزاني: "ذكر الله سبحانه وتعالى الذكر والأنثى،والزاني كان يكفى منهما،فقيل: ذكرهما للتأكيد كما قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة:٣٨] ويحتمل أن يكون ذكرهما هنا؛ لئلا يظن ظان أن الرجل لما كان هو الواطئ والمرأة محل ليست بواطئة فلا يجب عليها حد،فذكرها رفعا لهذا الإشكال الذي أوقع جماعة من العلماء منهم الشافعي[٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٢، ص ١٦٥.

(٢) روح المعاني، الألوسي، ج٩، ص٣١٩.

(٣) في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة ٢، ٢٠١٠م، ص ١١٨.

(٤) فقالوا: لا كفارة على المرأة في الوطء في رمضان ؛ لأنه قال:جامعت أهلي في نهار رمضان، فقال له النبي ﷺ كفّر، فأمره بالكفارة، والمرأة ليست بمجامعة ولا واطئة . ينظر :الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٢، ص ١٦٥.

قدمت ﴿ الزانية﴾ في الآية من حيث كان في ذلك الزمان زنا النساء فاش،وكان لإماء العرب وبغايا الوقت رايات،وكن مجاهرات بذلك،وقيل: ؛لأن الزنا في النساء أعر وهو لأجل الحبل أضر،وقيل: لأن الشهوة في المرأة أكثر وعليها أغلب،فصدرها تغليظا لتردع شهوتها،وإن كان قد ركب فيها حياء لكنها إذا زنت ذهب الحياء كله،وأيضا فإن العار بالنساء ألحق إذ موضوعهن الحجب والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما"(١).

أما ابن عاشور فيرى "قدم ذكر ﴿الزَّانِيَةُ﴾ على ﴿وَالزَّانِي﴾ للاهتمام بالحكم لأن المرأة هي الباعث على زنى الرجل وبمساعفتها الرجل يحصل الزنا ولو منعت المرأة نفسها ما وجد الرجل إلى الزنا تمكينا،فتقديم المرأة في الذكر لأنه أشد في تحذيرها"(٢).

وفي الآيـــة الثانيـــة﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور:٣]

قدم الزاني في هذه الآية لأن الزنا هنا"تمهيد وليس بتشريع،لأن الزاني من الزنا له عادة لا يكون مؤمنا فلا تشرع له أحكام الإسلام. وهذا من قبيل قوله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ هذا يتضمن أن المسلم إذا تزوج زانية فقد وضع نفسه في صف الزناة،أي المشركين"(٣).

أما الزمخشري فقال في تناسب الآيتين: "فإن قلت : كيف قدمت الزانية على الزاني أولاً،ثم قدم عليها ثانياً ؟ قلت : سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا،والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية ؛ لأنها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم يتمكن . فلما كانت أصلاً وأولاً في ذلك بدأ بذكرها .

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٢، ص ١٦٥ .

(٢) التحرير والتنوير،ابن عاشور ج ١٨، ص ١١٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٢٥.

وأمّا الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل أصل فيه،لأنه هو الراغب والخاطب،ومنه يبدأ الطلب"[١].

وفي قوله تعالى﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]

لقد كان في ترتيب الجوارح أبدع صورة في التناسب، حيث أختص الألسنة وقدمها بالشهادة ؛لأنها المرتكب لجريمة القذف،وهي أشد الأعضاء ضرراً في المجتمع إذ عليها يناط الفساد والقذف وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين،ثم عرج بالأيدي والأرجل حتى تنقطع كل الحجج عليهم،وبذا يشتد هول الموقف وفظاعته فلو كذبت الألسنة مثل ما عملت في الدنيا،فالجوارح ستفضح هذه الكذبة " ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب ،والموصول والمحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن إحداهما خاصة ففيه من ضروب التهويل وبالإجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه"[٢].

وفي قوله تعالى﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٣٠]

قُدّم الحث على غض البصر على حفظ الفرج ؛لأن " أمر النظر أوسع،ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهنّ وصدورهنّ .. وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك فرقاً أن أبيح النظر إلاّ ما استثنى منه، وحظر الجماع إلاّ ما استثنى منه، ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفضاء إلى ما لا يحلّ حفظها عن الإبداء، وعن ابن زيد : كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا، إلاّ هذا فإنه أراد به الاستتار، فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون "[٣]،فالبصر بريد الزنا،ورائد الفجور،فبودر إلى منعه اتقاء لما يجره من الفتن.

وفي قوله تعالى﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ

(١) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢١٧.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ابو السعود، ج٦، ص ١٦٦

(٣) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢٣٤.

خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥]

" إذ قدم-الله تعالى - على وعدهم بالأمن أن وعدهم بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والشريعة فيهم، تنبيهاً لهم بأن سنة الله أنه لا تأمن أمة بأس غيرها حتى تكون قوية مكينة مهيمنة على أصقاعها،ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا،إيماء إلى التهيؤ؛ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح ؛إن هم أخذوا في ذلك،وأن ملاك ذلك هو طاعة الله والرسول ﷺ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾"(١)،كذلك قدم الاستخلاف في الأرض على تمكين الدين مع أنه من أعظم الرغائب؛ لأن النفوس تميل إلى الحظوظ العاجلة، فتصدير الوعد بها ادخل في الترغيب .

المطلب الثاني :الحذف والتناسب

تشير الجهود النحوية والبلاغية على وجه الخصوص،إلى أهمية الحذف في اللسان العربي،وهي تقنية من تقنيات الأسلوبية واظهار جمالياتها،خاصة عند تحليلها نصاً قرآنيا أو شعراً أو نثراً عربيا،فالنص القرآني وصل إلى مرحلة العبقرية التعبيرية في النظم والسبك وهو انزياح في الأسلوب كذلك،وقد عني النحاة بدراسة الجملة بكونها تركيبا اسناديا تتكون من المسندو المسند إليه وبهما معا تتم الجملة يقول سيبويه " هذا باب المسند والمسند إليه،وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بدا،فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه،وهو قولك عبد الله أخوك وهذا أخوك،ومثل ذلك يذهب عبد الله فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخرِ في الابتداء"(٢).

ولذلك في بعض الأحيان يعمد المنشئ للنص إلى الخروج عن هذه القاعدة وحذف المسند أو المسندإليه والاستدلال عليهما بقرينة لفظية أو معنوية دالة عليه بواسطة الإعراب.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢٢٦.

(٢) كتاب سيبويه، المؤلف : أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص ٢٣.

يقول عبد القاهر الجرجاني: " إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها،وأنّ الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها،وأنّه المعيار الذّي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه،والمقياس الذّي لا يُعرف صحيح من سقيم حتّى يرجع إليه"[١]،فهذا يعني أن الخروج على النظام اللغوي لايعد سقما في الكلام،بل على العكس ربمايفتح لنا زخات دلالية وتعبيرية جديدة للنص،يقول عبد القاهر في ثنائية الحذف والذكر: " هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[٢] .

ومع أن الحذف يعتبر خروجاً عن المألوف،إلا أنه ما إن يظهر المحذوف ويذكر ،تزول تلك الجمالية النصية التعبيرية،وهذه القضية من أهم القضايا التي عالجتها الدراسات النحوية والبلاغية والأسلوبية بوصفها خروجاً على مقتضى الظاهر ،أو انحرافاً وانزياحاً عن المألوف،وبهذا يكون الحذف غير المخل في المعنى عند أهل البلاغة أكثر بلاغة من الذكر،فهو ظاهرة لسانية مشكلة،و وسيلة من وسائل اتساع النص ؛ "لأنه يلعب دوراً رئيساً في عملية التنبيه والإيحاء، ويثير ذهن المتلقي ويحمله على الحفر في عمق العبارات والتراكيب، الأمر الذي يجهلها تتسع من الداخل وتفرز شحنات دلالية كثيفة، وفيها تكمن الجمالية ومتعة القراءة التي تحدث عنها رولان بارت "[٣].

وسأحاول دراسة ظاهرة الحذف في بعض الآيات في سورة النور .

أولاً:حذف المبتدأ

إذا تأملنا قوله تعالى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النور: ١]

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج ١، ص ٤٢.

(٢)المصدر نفسه، ج ١، ص ١٢١.

(٣)ينظر : جمالية الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية، محمد مليباني، منتدى الكلمة للدراسات والبحوث، ص ٢١٩. http://kalema.net/v.١ rpt=١/?art١٠٧٩&.

فقد ذهب العلماء إلى أن ﴿ سُورَةٌ ﴾ " سورة خبر مبتدأ محذوف أي: (هذه سورة) وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها ؛لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر"(١)، وكذلك تعظيماً وتفخيماً لهذا المطلع الفريد يقول أبو السعود: " مقتضى المقام بيان شأن السورة الكريمة لا أن في جملة ما أوحي إلى النبي ﷺ سورة شأنها كذا وكذا ،وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات"(٢).

وكان لهذا الحذف كبير الأثر في جذب انتباه المخاطب،لاسيما أن هذه السورة اشتملت على كثير من الأحكام والآداب المنظمة للمجتمع المسلم خاصة بعد استقرارهم في المدينة يقول الماوردي في ذلك: " إن المقصود الزجر والوعيد فافتتحت بالرهبة كسورة التوبة وأن فيها تشريفاً للنبي ﷺبطهارة نسائه "(٣) .

وقد يحذف المبتدأ إن دل عليه السياق،وكراهة للتكرار، كما في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾[النور:٣٥] والتقدير : (هي نور)،وفي قوله تعالى :﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ ﴿٥٨﴾﴾[النور:٥٨] والتقدير : هن ثلاث عورات،فالمبتدأ المحذوف ليس هو مدار الاهتمام في كلتا الآيتين .

ثانياً:حذف الخبر

حُذف الخبر في سورة النور بعد (لولا) فقط،وكان في المواضع التالية :

- قوله تعالى﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[النور:١٠]

- قال تعالى :﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾[النور:١٤]

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،أبو السعود، ج٦، ص ١٥٥.

(٢)إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،أبو السعود، ج ٦، ص١٥٥.

(٣) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر : دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان، عدد الأجزاء ٦، ج ٤، ص ٧٠.

- وقولـــه تعـــالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [النور: ٢٠]

ذكر الزركشي بعضاً من فوائد الحذف فقال: " منها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوفه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه،ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور"(١).

وفي الآية الأولى حذف خبر (لولا) فيها دال على أمر عظيم،وحذفه أبلغ من ذكره لأنه " من باب الزواجر ولولا هنا لامتناع الشيء لوجود غيره "(٢) "فالحذف دل على قوة المبالغة وشدة التهويل"(٣) .

يقول الماوردي في ذلك :"وفي الكلام محذوف اختلف فيه على قولين :

- أحدهما : أن تقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته بإمهاله حتى تتوبوا لهلكتم .

- الثاني : تقديره : لولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لنال الكاذب منكم عذابٌ عظيم "(٤)،أما ابن عاشور فقال :"هذه ثالث مرة كرر فيها ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ وحذف في الأول والثالث جواب لولا ؛لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تقديره بحسب المقام،وقد ذكر في المرة الأولى وصف الله بأنه تواب حكيم؛ للمناسبة المتقدمة،وذكر هنا بأنه رؤوف رحيم؛ لأن هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيه انتشال للأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها وانفصام عرى وحدتها، فأنقذها من ذلك رأفة ورحمة لآحادها وجماعتها وحفظا لأواصرها"(٥)ولعل رأي أبن عاشور أكثر انفتاحاً، وشمولية للنص، حيث فتح للمتلقي باب التصور اللا محدود بسعة رحمة الله

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ٤، ص ١٠٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ١٥٦.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص ٢٤٦.

(٤) النكت والعيون، الماوردي، ج ٤، ص ٧٨.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٤٩.

ورأفته بعباده، مرتبطاً بحكمته –سبحانه–وحسن تدبيره ،سواء كل مستوى الفرد أو المجتمع بأكمله، وهذا أكثر تأثيراً دلالياً على المتلقي .

ثالثاً:حذف المضاف

" وهو كثير قال ابن جنى: "وفي القرآن منه زهاء ألف موضع ،وأما أبو الحسن فلا يقيس عليه ثم رده بكثرة المجاز في اللغة وحذف المضاف مجاز،وشرط المبرد في كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه لجوازه وجود دليل على المحذوف من عقل أو قرينة"(١).

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١١]

والتقدير: جزاء ما اكتسب من الإثم،يقول أبو حيان الأندلسي :" أي جزاء ما اكتسب،وذلك بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم "(٢)؛ ولأن المسئ يلقى جزاء إساءته لا نفسها ،وسر الحذف هو المبالغة في بيان أن الجزاء من جنس العمل وهذا البهتان إثم عظيم،وفي حق امرأة عظيمة، زوج نبي عظيم، في بيئة عظيمة فحذف المضاف يعظم الجزاء كذلك

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور: ٤٠]

يقول الزركشي " أعلم أن المضاف إذا علم جاز حذفه مع الالتفات إليه فيعامل معاملة الملفوظ به من عود الضمير عليه،ومع اطراحه، يصير الحكم في عود الضمير للقائم مقامه، فمثال استهلاك حكمه وتناسى أمره قوله تعالى :﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ فإن الضمير في يغشاه عائد على المضاف المحذوف، بتقدير: أو كذي ظلمات"(٣) .

---

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٣، ص ١٤٦.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٦ ص ٤٠١.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج٣، ص ١٥٠.

ويدل على حذفه قوله تعالى: ﴿ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ ﴾ والضمير الذي أضيف إليه يده يعود إلى المضاف المحذوف ومعنى ذي ظلمات أنه في ظلمات ومعنى ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ ظلمة البحر،وظلمة الموج الذي فوق بعضه،وظلمة الليل، إضافة إلى أن هذا الحذف ينقل المتلقي إلى كل معاني الظلمات المتطابقة الحسية والمعنوية ظلمة المعصية التي تنصب في الجانب الروحي من هم وغم،والكفر،التي تناسبت مع النور المشع في أرجاء السورة وهو النور المنجي بإذن الله .

رابعاً:حذف جواب الشرط :

يحذف جواب الشرط جوازاً لسببين، الأول : الحذف اختصاراً ،والآخر: الحذف للدلالة على التفخيم والتعظيم قال الزركشي : "قالوا : وحذف الجواب يقع في موقع التفخيم والتعظيم،ويجوز حذفه لعلم المخاطب به،وإنّما يحذف لقصد المبالغة ؛ لأنّ السامع مع أقصى تخيّله يذهب منه الذهن كلّ مذهب،ولو صرّح بالجواب لوقف الذهن عند المصرّح به فلا يكون له ذلك الوقع،ومن ثمّ لا يحسن تقدير الجواب مخصوصاً إلا بعد العلم بالسياق"(١).

وجاء في الإتقان: "إنّما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه،أو يُقصد به تعديد أشياء،فيكون في تعدادها طول سآمة،فيحذف ويكتفي بدلالة الحال،وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها"(٢) وتجري الأسلوبية مع البلاغيين القدامى إذ تشرك المتلقي في النص من حيث الإفهام والتقدير في ضوء السياق.

وتظهر أسلوبية حذف جواب الشرط في الترغيب والترهيب،والاختصار في مجمل مواضع القرآن،قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور: ٢١]

(١)البرهان في علوم القرآن ،الزركشي، ج٣، ص ١٨٣.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٣، ص ١٩٠.

فقد حذف جواب الشرط الذي كان فعله ﴿يَتَّبِعْ ﴾وقد أفاد هذا "المحذوف لقصد العموم "[١]و" والضمير في ﴿ فَإِنَّهُ ﴾ عائد على (مِنْ)الشرطية،أي فإن متبع خطوات الشيطان ﴿ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾"[٢] وكذلك تهويلاً وترهيباً لأمره واستعظامه .

خامساً:حذف المفعول

يقول عبد القاهر في حذف المفعول أنه"إذا حذف خصوصا فإن الحاجة إليه أمس وهو بما نحن به أخص واللطائف كأنها فيه أكثر وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"[٣] والظاهر من كلام عبد القاهر أن ثمة نوعيين لحذف المفعول به وهما:

١-"أن يحذف من الكلام لفظاً لكنّه مُراد معنًى وتقديراً ،وهو الذي يسميه النحويون الحذف اختصاراً،ولا يحذف إلا لدليل"[٤] .

٢-"أن لا يذكر المفعول وهو غير مراد،وهو الذي يسميه النحويون-كذلك- الحذف اقتصاراً"[٥]،وقد ظهر كلا النوعين من الحذف في سورة النور :

أمّا النوع الأول: فقد تمثل - في قوله تعالى﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٨]فقد حذف المفعول به ،وهو العائد على الاسم الموصول وذلك أبلغ في " ذكر الجزاء على الحسنات، ولم يذكر الجزاء على السيئات، وإن كان يجازى عليها لأمرين :

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٥٠.

(٢) البحر المحيط، أبو حيان التوحيدي، ج ٦، ص ٤٠٤.

(٣) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج ١، ص ١٢٧.

(٤)معاني النحو، فاضل السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد ،بيت الحكمة، ج٢، ص٥١٤.

(٥) معاني النحو، فاضل السامرائي، ج٢، ص ٥١٥.

أحدهما : أنه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة. الثاني : أنه يكون في صفة قوم لا تكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة"[١].

وكذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]

فقد حذف المفعول في هذه الآية وهو العائد على الاسم الموصول في ﴿ ما اكتسب ﴾ وهذا الحذف تناسب مع المقام حيث شمل كل حالات الخوض مع الجزاء المناسب له[٢] ،وأما النوع الآخر : وهو المحذوف اختصاراً، كما في قوله تعالى﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [النور: ٤٧]

فقد حذف المفعول به اختصاراً "وضمير الجمع عائد إلى معروفين عند السامعين وهم المنافقون لأن ما ذكر بعده هو من أحوالهم"[٣] إضافة إلى أن عدم ذكرهم إصغاراً لهم،وبعداً لهم ونبذاً عن المجتمع المسلم . كذلك في قوله تعالى﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]

فقد حذف المفعول به ؛لدلالة المقام عليه،" فالمقصود منه الثناء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكره، وفيه تعريض بالمنافقين، إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقضونها بضدها من كلمات الإعراض والارتياب"[٤].

---

(١) النكت والعيون، الماوردي، ج ٤، ص ١٠٨.

(٢) البحر المحيط، ابو حيان التوحيدي، ج ٦، ص ٤٠١.

(٣) التحرير والتنوير، ج١٨، ص ٢١٤.

(٤)المصدر نفسه، ج١٨، ص ٢٢٠.

المطلب الثالث :الانزياح الصرفي

" وضع العلماء العرب القدامى قاعدة تكاد تكون عامة تعرف في ضوئها الفروق الدلالية بين الألفاظ،وتنحصر هذه القاعدة في أنه لا يجوز أن تختلف الصيغتان صرفياً ومعناهما واحد ؛ لأن في ذلك تكثيراً للغة بما لا فائدة فيه "[1].

وفي سورة النور شواهد تطبيقية كثيرة تؤكد لنا أن الأبنية الصرفية في اللغة العربية وسيلة مهمة من وسائل تحديد الدلالة،وأن أي تغير في الأبنية الصرفية يترتب عليه تغير في الدلالة،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١]" فقد استخدم السياق القرآني صيغة جمع التكسير ﴿أَبْنَآءِ﴾ مضافة إلى ضمير المؤمنات وإلى بعولتهن،ثم انزاح عنها إلى صيغة جمع المذكر السالم ﴿بَنِىٓ﴾عند الإضافة إلى الإخوان والأخوات فكان الانزياح البديع على النحو التالي :

البنية السطحية

﴿أبنائهن أو أبناء بعولتهن﴾ ⟵ ⟵ ﴿بني إخوانهن أو بني أخواتهن﴾

انزياح

جمع تكسير ⟵ ⟵ جمع مذكر سالم

البنية العميقة

﴿أبنائهن أو أبناء بعولتهن ﴾ ⟵ ⟵ ﴿أبناء أخوانهن أو أبناء أخواتهن﴾

تطابق

---

(١) أسلوبية الانزياح في النص القرآني، أحمد غالب الخرشه، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م، الناشر الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ٢٣٢.

جمع تكسير ←——— ———→ جمع تكسير

ولمعرفة سر هذا الانزياح ينبغي أن ندرك أولاً أن الصيغة الأولى ﴿أبناء ﴾ هي إحدى صيغ القلة في جموع التكسير،أما صيغة جمع المذكر السالم ﴿ بني ﴾ فقد اختلف النحاة حولها،فمنهم من ذهب إلى أنها للقليل،ومنهم من ذهب إلى أنها للكثير،غير أنّ الذين ذهبوا إلى أنها للقليل قد نبهوا على أنها أضيفت إلى ما يفيده الكثرة .

وقد تحقق ذلك بإضافة ﴿بني ﴾إلى الإخوان والأخوات، فإنها حينئذ تدل على الكثير "[1] ولعل هذا هو سر الانزياح عن الصيغة الأولى ﴿أبناء ﴾ إلى الصيغة الثانية ﴿بني ﴾ في سياق الآية الكريمة ؛ لأن بني الإخوان وبني الأخوات،هم أكثر المذكورين في الآية،فمن المعروف أن الإخوان قد يكونون إخواناً أشقاء،وقد يكونون إخواناً من الأم،وقد يكونون إخواناً من الأب،وقد يكونون إخواناً من الرضاعة،وكذلك الأخوات،فإنهن قد يكن أخوات شقائق،وقد يكن أخوات لأم،وأخوات لأب،وأخوات من الرضاعة،وحكم هؤلاء جميعاً واحد فيما ذكر،وهم أكثر من أبناء المرأة وحدها،ومن أبناء البعولة وحدهم،ولهذا استعمل التعبير القرآني- فيما يرى د.أحمد خرشة صيغة أبناء لما هو أقل،فقال: ﴿ أبنائهن أوأبناء بعولتهن ﴾.

ثم انزياح إلى صيغة﴿بني﴾واستخدامها لما هو أكثر،فقال:﴿بني إخوانهن أو بني أخواتهن ﴾"[2] .

وهذا ما يقرره الألوسي في روح المعاني، حيث يقول:" والمراد بالإخوان ما يشمل الأعيان وهم الأخوة لأب واحد وأم واحدة وبني العلات: وهم أولاد الرجل من نسوة شتى و الأخياف: وهم أولاد المرأة من آباء شتى ،ونظير ذلك يقال في الأخوات، واستعمل بني معهم دون أبناء؛ لأنه أوفق بالعموم وأكثر استعمالا في الجماعة الذين ينتمون إلى شخص مع عدم اتحاد صنف قرابتهم فيما بينهم، ألا ترى أنك كثيرا ما تسمع بني آدم ،وبني تميم ،وقلما تسمع أبناء آدم،وأبناء تميم .

وفيما نحن فيه قد يجتمع للمرأة ابن أخ شقيق وابن أخ لأب وابن أخ لأم بل قد يجتمع لها أبناء أخ شقيق أو إخوة أشقاء أعيان، وبنو علات ،وأبناء أخ أو إخوة لأب، وأبناء أخ أو إخوة لأم، ويتأتى مثل ذلك في ابن الأخت، لكن لا يتصور هنا بنو العلات ،كما لا يتصور في أبناء الأخ الأخياف، والاجتماع في أبنائهن وأبناء بعولتهن ،وإن اتفق لكونه ليس بتلك المثابة "[1].

---

(١) ينظر:الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، شركة الفجر العربي، بيروت ،ص ١٢٢.

(٢) أسلوبية الانزياح في النص القرآني، أحمد غالب الخرشه، ص ٢٣٣، ٢٣٤.

المطلب الرابع :القصر

القصر من الأساليب المساعدة على فهم النص في مستوياته المتعددة،والدخول إلى أغواره الحقيقية والمجازية[٢].

ومن شواهد ذلك في السورة :

أولاً: القصر بإنما

قوله تعالى :﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾

جاءت هذه الآية بعد الحديث عن إعراض المنافقين عن التحاكم إلى أمر الله ورسوله،فكانت مبينة لحال المؤمنين،فبدأ بقصر الإيمان على من كان قوله السمع والطاعة وطريق القصر هنا هو (إنما)، وهو قصر صفة على موصوف.

يقول ابن عاشور:" وجيء بصيغة الحصر بإنما؛ لدفع أن يكون مخالف هذه الحالة في شيء من الإيمان وإن قال بلسانه إنه مؤمن،فهذا القصر إضافي،أي هذا قول المؤمنين الصادقين في إيمانهم لا كقول الذين أعرضوا عن حكم الرسول ﷺحين قالوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ فلما دعوا إلى حكم الرسول ﷺعصوا أمره، فإن إعراضهم نقيض الطاعة"[٣] .

---

(١) روح المعاني، الألوسي، ج٩، ص ٣٣٧.

(٢)يقول الخطيب القزويني :"القصر حقيقي وغير حقيقي،وكل واحد منهما ضربان قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف فمن هنا تبين لنا أقسام القصر من حيث طرفاه : ١- قصر موصوف على صفة ٢- قصر صفة على موصوف،أما طرقه فكثيرة،أوصلها السيوطي إلى أربعة عشر طريقا،وفي هذه السورة تنوعت طرق القصر مابين ١-قصر(بإنما) ٢- وقصر طريقه التقديم ٣- القصر ب(ما) و(إلا) "الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م ،ج١،ص ١١٨ .

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ٢١٩.

والقصر المستفاد من (إنما) هنا-كما ذكر ابن عاشور - قصر إفراد لأحد نوعي القول،فالمقصود منه الثناء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكره، وفيه تعريض بالمنافقين ،إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقضونها بضدها من كلمات الإعراض والارتياب"[1].

ثم جاء خبر فلاح المؤمنين بصيغة القصر،وهو قصر موصوف على صفة حيث تقدم ضمير الفصل ﴿هم ﴾على وصفهم بالفلاح،فالفلاح كله في قبول حكم الله وشريعته،فبها يصلح الفرد والمجتمع .

ثانياً:القصر بالتقديم

و ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:٢٦]

أفاد تقديم المسند إليه على المسند في هذه الآية القصر،وهو من قصر موصوف على صفة وعطف عليها قصر ﴿الخبيثين﴾ على ﴿الخبيثات﴾ وهو قصر موصوف على صفة أيضاً وقد أفاد المبالغة في إثبات الأمر،يقول ابن عاشور " وفي هذا تعريض بالذين اختلقوا الإفك بأن ما أفكوه لا يليق مثله إلا بأزواجهم"[2]

ثالثاً:القصر ب (ما) و(إلا)

في قوله تعالى :﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور:٥٤]

في هذه الآية شاهدان على القصر، الأول في قوله تعالى:﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ﴾ وطريقه (إنما)وهو قصر موصوف على صفة،فقصر الرسول ﷺعلى تبليغ

(١) التحرير والتنوير ،ابن عاشور، ج١٨، ص ٢٢٠

(٢)المصدر نفسه، ج١٨، ص ١٥٦.

الرسالة،فالمقصور هو ضمير الرسول ﷺو المقصور عليه: ﴿ ما حمل ﴾ وأفاد القصر شدة حرصه ﷺعلى الدعوة،مع أنه لن يصيبه ضرر من إعراضهم،كما أن العطف يقتضي قصر آخر وهو قصر المخاطبين على ﴿ما حملوا عليه ﴾وهو من قصر موصوف على صفة،وقد أفاد القصر "بالترغيب في الطاعة استقصاء في الدعوة إلى الرشد"[١].

وأكد هذا القصر بقصر آخر جاء بياناً لقوله تعالى:﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ وطريقه (ما) و(إلا) في قوله تعالى :﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾وهو قصر موصوف على صفة،فالرسول المقصور،والبلاغ المبين المقصور عليه .

وكذلك في قوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾[النور:٤٢] أفاد تقديم الخبر "بيان لاختصاص الملك به تعالى "[٢]،وهو قصر ملك السموات والأرض على الله وحده،وهو قصر موصوف على صفة.

(١)التحرير والتنوير ،ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢٢٥.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ابو السعود، ج٦، ص١٨٤.

المطلب الخامس :انزياح الخطاب في الجملة

الالتفات :

*يدور معنى الالتفات في اللغة حول معاني التحول والانصراف من جهة إلى أخرى،فيقال : " لفت وجهه عن القوم صرفه والتفت التفاتا والتلفت أكثر منه وتلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه ولفت فلانا عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات " [(١)]"وحقيقة الالتفات مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ،أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض أو غير ذلك "[(٢)].

ولا يختلف مفهومه في الاصطلاح عن المعنى اللغوي كثيراً،حيث يدور حول مفهوم الانتقال من أسلوب إلى آخر في الكلام،حيث يرى محمد عبد المطلب " أن هذا الانتقال يعتمد على المخالفة السطحية بين التنقل عنه والمنتقل إليه،إلا أنه لا بد من إعادة الانتظام لهذه المخافة بالنظر في المستوى العميق وإيجاد نوع من التوافق والانسجام بين طرفي الالتفات،إذ إنه لكي تتحقق بنية الالتفات – بما فيها من مخالفة سطحية وتوافق عميق – لا بد من وحدة السياق بين الملتفت عنه والملتفت إليه ؛ لأن تعدد السياق يزيل المخالفة السطحية ومن ثم تفقد البنية مكوناتها "[(٣)] أما فوائده "منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملل لما جبلت عليه النفوس من حب

---

* على الرغم من أن الالتفات يتجاذبه علم المعاني، كما عند السكاكي ،وكما عند ابن الأثير، والزمخشري، فإن بعض الباحثين المعاصرين يرى أن الالتفات مقولة بيانية عربية، ينظر : جماليات الالتفات، عز الدين إسماعيل، ضمن قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي ،جدة، ٨٨٠، ١٩٩٠م .

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة :(لفت).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين بن الأثير ،تحقيق بدوي طبانهوأحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر ،الطبعة الثانية، ج٢، ص ٢٥٤.

(٣) البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب،طبعة ١٩٩٨م، الناشر: مكتبة لبنان، ص ٣٩٢، ٣٩٧.

التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة،ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله"[١].

والمشهور عند علماء البلاغة أن للالتفات ست صور :

١-الالتفات من المتكلم إلى الخطاب

٢- الالتفات من المتكلم إلى الغيبة

٣- الالتفات من الخطاب إلى المتكلم

٤-الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

٥-الالتفات من الغيبة إلى المتكلم

٦-الالتفات من الغيبة إلى الخطاب [٢].

والالتفات في سورة النور جاء على أربع صور هي:

١- الالتفات من ضمير المتكلم إلى الخطاب:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور:٥٥-٥٦]

حيث بدأت الآية الكريمة بوعد من الله للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين وانتشار الأمن،وعبر عن حال المؤمنين الذين استحقوا هذا الوعد بالفعل المضارع الذي يفيد التجدد،فجميع العبادات تحتاج إلى تجديد واستمرار،أما الكفر فيقصد به كفر النعمة بعد تحقيق هذا الوعد [٣]،ولقد جاء الالتفات من التكلم في قوله تعالى ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ٣، ص ٢٨٩.

(٢)بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي،الناشر: مكتبة الآداب ،الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ج١، ص ١٣٩,١٤٠.

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، ص ١٣٧.

إلى الخطاب في قوله ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ "والخطاب موجه للذين آمنوا خاصة بعد أن كان موجها لأمة الدعوة على حد قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾،لأن تلك دعوة للمعرضين وهذه ازدياد للمؤمنين وقد جمعت هذه الآية جميع الأعمال الصالحات فأهمها بالتصريح وسائرها بعموم حذف المتعلق بقوله: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾،أي: في كل ما يأمركم وينهاكم،ورتب على ذلك رجاء حصول الرحمة لهم،أي في الدنيا بتحقيق الوعد الذي من رحمته الأمن، وفي الآخرة بالدرجات العلى"(١).

فالالتفات –هنا– يقنع المؤمن أن مقياس رفعة المجتمع،والخلافة في الأرض،وقيام الحضارات النافعة إنما هو توحيد الله بالعبادة واتباع أوامره واجتناب معاصيه .

ومن ثم لا يكون دور الالتفات مجرد الترويح عن النفس، والتلوين في الخطاب كما ذكر البلاغيون، ولكنه يتعلق بالهدف الأسلوبي على مستوى الإقناع، " فالالتفات ليس حيلة من حيل جذب اهتمام المتلقي وتشويقه ؛ لأن ما يحدث فيه من انحراف للنسق أو الانتقال من صيغة إلى أخرى ،ليس انتقالاً استطرادياً، وإنما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرهافة والخفاء، لا يلتفت المتلقي إليه ،أو إلى البحث عنه إلا بإدراكه للتغيير الحادث في النسق اللغوي للخطاب "(٢).

٢–الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾

[النور:١٢]جاء الالتفات من الخطاب في قوله تعالى ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ قال الألوسي : " لو لا إذ سمعتموه التفات إلى خطاب الخائضين ما عدا من تولى كبره منهم واختير الخطاب لتشديد ما في (لولا) التحضيضية من التوبيخ ولتأكيد التوبيخ عدل إلى الغيبة في قوله تعالى : ﴿ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لكن لا بطريق الإعراض عن المخاطبين وحكاية جناياتهم لغيرهم بل بالتوسل بذلك إلى وصفهم بما يوجب الإتيان بالمحض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا وهو الإيمان وكونه يحملهم على

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص٢٣١، ٢٣٢.

(٢)ينظر : جماليات الالتفات، عز الدين إسماعيل ،ص٩٠٥، –بتصرف–.

إحسان الظن ويكفهم عن إساءته "[١]،وهذا يتناسب مع عظم الجرم الذي يهدد الأسرة المسلمة ويهز كيانها .

﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]

جاء الالتفات من الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿قُلْ أَطِيعُواْ﴾ ثم افترض إعراضهم بضمير الغائب في قوله تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة،فقد جاء الأمر بأسلوب الخطاب للتنبيه على أهمية طاعة الله ورسوله،وافترض إعراضهم بأسلوب الغيبة؛ لأن من شأن مرتكب العصيان التجاهل والإعراض"ويكون في الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة"[٢]،وفي هذا إيلام نفسي للعاصي،حيث نبذه من المجتمع يجبره على العودة إلى رشده،وإلى طريق الحق،كذلك حمل النفس على المحاسبة الدائمة،وكل سيجازى بما جنت يداه .

٣-الالتفات من ضمير الغيبة إلى المتكلم:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥]

جاء الحديث عن وعد الله للمؤمنين بالاستخلاف في الأرض بضمير الغيبة ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ﴾ ثم انتقل سبحانه إلى أسلوب التكلم ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ وذلك حتى يستحضر المسلم قربه من ربه سبحانه،" جملة ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ حال من ضمائر الغيبة المتقدمة،أي هذا الوعد جرى في حال

(١) روح المعاني، الألوسي، ج٩، ص٣١٤.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ج ٤، ص٥٥.

عبادتهم إياي، وفي هذه الحال إيذان بأن ذلك الوعد جزاء لهم،أي وعدتهم هذا الوعد الشامل لهم ،والباقي في خلفهم ؛لأنهم يعبدونني عبادة خالصة عن الإشراك،وعبر بالمضارع لإفادة استمرارهم على ذلك تعريضا بالمنافقين إذ كانوا يؤمنون ثم ينقلبون"[١] فمتى ما استشعر الفرد عظم هذه العلاقة ازداد تعلقه بها،وارتباطه بخالقه،وهذا منعكس على المجتمع بأكمله .

٤-الالتفات من ضمير الغيبة إلى الخطاب :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[النور:١٩]

فقد وقع الالتفات من ضمير الغيبة في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إلى ضمير الخطاب في قوله تعالى ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وفي هذا تناسب مع موضوع السورة،حيث استحضرهم،بعد أن أثبت لنفسه سبحانه العلم المحيط بكل شي" أي له العلم التام،فهو يعلم مقادير الأشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة في ستره أو إظهاره أو غير ذلك من جميع الأمور"[٢].

ومن خلال أمثلة الالتفات السابقة وتحليلها في سورة النور ،سواء منها ما يتعلق بالانتقال بين الصيغ المسندة إلى الضمائر ،أو الانتقال بين أزمنة الفعل، نستنتج ما يلي :

إن العدول من صيغة إلى أخرى قد ينتج معنى في سياق وينتج ضده في سياق آخر، وإذا ما حاولنا الموازنة بين النسق المعدول عنه -أو المنحرف بلغة الأسلوبية- والنسق الأصلي، سيتضح الاختلاف في الدلالة بينهما لا محالة .

ولا يفوتني هنا أن أسجل ما لاحظته في مسألة الالتفات، أن سياق الكلام كان هو الفيصل في الانحراف من صيغة إلى أخرى ؛ ذلك لأن الالتفات أساساً يتعلق بالمعنى في سورة النور، أتراني

(١) التحرير والتنوير،ابن عاشور ج ١٨، ٢٣٠.

(٢) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص ٢٤٥.

أذهب بعيداً إذا قلت مع د. عز الدين إسماعيل : إن الالتفات بما هو مقولة بيانية يؤسس إلى معرفة عميقة ودقيقة في فهم النص القرآني، وأنه ضرورة معنوية، وليس عملاً عشوائيا، أو لمجرد رغبة في الانحراف من وقت إلى آخر عن النسق التماسا لغرابة الخطاب في ذاته .

(المبحث الثالث)

التناسب بين الجمل في سورة النور :

المطلب الأول :التناسب في الفصل والوصل

*يهتم البلاغيون بدراسة المناسبات بين المعاني وتحديد صلات بعضها ببعض،وكيف ساغ أن تلتقي هذه بتلك ؟ ولم عطفت ؟ ولم فصلت ؟وما نوع الصلات ؟ وما درجتها ؟ [١].

وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني وبين فضله بقوله : "العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخلص والقوم طبعوا على البلاغة وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد،وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة،فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عن البلاغة فقال : معرفة الفصل من الوصل "[٢] وقد وصفه العلوي " بأنه دقيق المجرى،لطيف المغزى،جليل المقدار،كثير الفوائد،غزير الأسرار "[٣].

ولما كانت سورة النور لا تخلو من فصل و وصل،سأقتصر في دراسة الآيات العشر الواردة في حادثة الإفك،ففيها يظهر التناسب جلياً،ويتضح الارتباط بين آيات السورة،فما قبلها تمهيداً لها،وما بعدها،ترهيباً وتخويفاً.

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ

* الفصل في اللغة : "الفصل بون ما بين الشيئين والفصل من الجسد موضع المفصل،والفصل الحاجز بين الشيئين،وفصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع ،والوصل : الوصل خلاف الفصل،واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع " لسان العرب، ابن منظور، مادة فصل، مادة :(وصل) .

(١) دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ، ١٩٧٨م، مكتبة وهبة، ص ٢٨٦.

(٢) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ج١، ص ١٧٤.

(٣) الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص ٣٢.

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور ١١-٢٠]

بعد أن أخبر الله تعالى أن الذين جاؤوا بالإفك جماعة من المسلمين

- فصل بين هذه الجملة،و جملة ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ لكمال الانقطاع ، فلانقطاع في المعني حيث حسبان الشر في ظاهر الأمر ، مع الخيرية الكامنة في خفائه ، كذلك انقاطاع لغوي حيث الإنشائية في الجماة الأولى ، والخبرية في الثانية ،كما فصل بين جملة ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُم﴾ وجملة﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ لشبه كمال الاتصال، يقول الماوردي: " أي لا تحسبواْ ما ذكر من الإفك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله قد بَرَّأَ منه وأبان عليه .

وفي المراد بهذا القول قولان :

أحدهما : أن المقصود به عائشة وصفوان؛ لأنهما قصدا بالإفك،قاله يحيى ابن سلام .

الثاني : أن المقصود به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة رضي الله عنهما،قاله ابن الشجري [1]".

قال أبو بكر ابن العربي: حقيقة الخير ما زاد نفعه على ضره وحقيقة الشر ما زاد ضره على نفعه،وأن خيرا لا شر فيه هو الجنة وشرا لا خير فيه هو جهنم. فنبه الله عائشة ومن ماثلها ممن ناله هم من هذا الحديث أنه ما أصابهم منه شر بل هو خير على ما وضع الله الشر والخير عليه في

(١) النكت والعيون، الماوردي، ج ٤، ص ٧٩-٨٠.

هذه الدنيا من المقابلة بين الضر والنفع ورجحان النفع في جانب الخير ورجحان الضر في جانب الشر"[١].

-ووصلت جملة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ﴾ بجملة ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ؛لأن الجملتين خبريتان،فكلا منهما جاءت لبيان عقوبة الأفاكين .

- وفصلت جملة ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ﴾ عن جملة ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ لكمال الانقطاع،فالجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية و"لولا" هنا حرف بمعنى: (هلا)للتوبيخ ،كما هو شأنها إذا وليها الفعل الماضي وهو هنا ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾"[٢].

– وفصل قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾عن قوله: ﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ لشبه كمال الانقطاع،فهذه الجملة سبقت بجملتين يصح عطفهما على الأولى منهما ولا يصح عطفها على الثانية،فلو جاء العطف هنا لتوهم أنها تطلب من المسلمين أن يأتوا بأربعة شهداء،لإثبات قولهم الموضح في قوله تعالى:﴿هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ وفي استعمال الفصل "وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره،واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع : من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة،والتنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين،فكيف بأمّ المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق حرم رسول الله ﷺوحبيبة حبيب الله ؟ "[٣]

- ووصل بين قوله تعالى﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ وجملة﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾لأن الجملتين شرطيتان خبريتان مقصودهما توبيخ المتحدثين في الإفك وترغيبهم في التوبة "ولما بين لهم بإقامة الدليل على كذب الخائضين في هذا

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٣٨.

(٢) االمصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٣٩.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ج ٣، ص ٢٢٣.

الكلام أنهم استحقوا الملام،وكان ذلك مرغباً لأهل التقوى،بين أنهم استحقوا بالتقصير في الإنكار عموم الانتقام في سياق مبشر بالعفو"[١].

- كما فصل بين قوله تعالى : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم﴾وقوله تعالى :﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾؛لأن الجملة الثانية: ﴿إذ تلقونه ﴾جاءت موضحة للجملة الأولى ومبينة لها،ففصل بينهما لكمال الاتصال[٢] .

وفصل جملة ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ وجملة﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ لكمال الانقطاع،لأن الجملة الأولى إنشائية،فـ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تعني: التعجب من عظم الأمر الذي خاض فيه،فهو عظيم عند الله وعند خلقه،والجملة الثانية خبرية،إلا أن البقاعي يرى الوصل في ذلك بقوله " ولما كان تنزيه الله تعالى في مثل ذلك وإن كان للتعجب،حسن أن يوصل بذلك قوله تعليلاً للتعجب والنفي : ﴿ هذا بهتان ﴾ أي كذب يبهت من يواجه به،ويحيره لشدة ما يفعل في القوى الباطنة؛لأنه في غاية الغفلة عنه لكونه ابعد الناس منه ؛ ثم هوله بقوله : ﴿ عظيم ﴾ والمراد: أن الذي ينبغي للإنسان أولاً أن لا يظن بإخوانه المؤمنين ولا يسمع فيهم إلا خيراً،فإن غلبه الشيطان وارتسم شيء من ذلك في ذهنه فلا يتكلم به،ويبادر إلى تكذيبه"[٣] "أما الزمخشري فيرى الفصل [٤].

- وفي جملة: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ عن جملة:﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ مع وجود الجامع المرجح للعطف،لوجود المانع.

---

(١) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٤٣.

(٢)معنى كمال الاتصال : وهو اتحادُ الجملتين اتحاداً تاماً وامتزاجاً معنوياً، بحيث تُنزَّلُ الثانيةُ من الأولى منزلةَ نفسِها"،ينظر:الإيضاح ،القزويني،ص ١٤٩,١٥٠ ،ومعنى كمال الانقطاع : "يكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه الأول أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى كقولهم لا تدن من الأسد يأكلك "الإيضاح ،القزويني ،ص ١٤٨.

(٣) نظم الدرر، البقاعي، ج ٥، ص ٢٤٤.

(٤) الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص٢٢٤.

وهو أنه لم يقصد تشريك جملة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ كي لا يفهم أن الجملة الثانية من قولهم،[١] فترك العطف للتوسط بين الكمالين [٢].

- ووصل بين جملة ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ وجملة ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ ﴾ ؛ لأنهما خبريتان،والمعنى كما قال الزمخشري "ويبين الله لكم الدلالات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع،ويعلمكم من الآداب الجميلة،ويعظكم به من المواعظ الشافية"[٣].

- كما وصل جملة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ بجملة ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ ﴾ ؛لأنهما خبريتان أيضاً،فتبيين الله للآيات ناتج عن علم وحكمة .

- وفصل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ ﴾عن قوله تعالى﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾لكمال الانقطاع،يقول ابن عاشور "لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين"[٤] .

كما وصلت جملة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ بجملة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾؛لأنهما خبريتان،وفي هذا العطف تذكير وتحدي،فهو سبحانه الأعلم بخلقه ودقائق شؤونهم والأصلح لمصلحتهم،فعلم الله محيط بكل شيء .

---

(١) الكشاف، الزمخشري ،ج٣، ص ٢٢٤.

(٢) التوسط بين الكمالين : للتوسط بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال ،وهو ضربان: أحدهما أن يتفقا خبراً أو إنشاء لفظاً، والثاني أن يتفقا كذلك معنى لا لفظاً"ينظر:الإيضاح ،القزويني ،ص ١٥٥,١٥٦.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص٢٢٥.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٤٥.

كما وصلت جملة﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ بجملة﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ لأنهما خبريتان أيضاً وقد أبرز الطباق جمال الوصل هنا .

- ووصل قوله تعالى ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ بقوله ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾؛ لأن الجملتين خبريتان،ومقصودهما الامتنان،قال البقاعي " عطف عليه قوله مكرراً التذكير بالمنة بترك المعاجلة حاذفاً الجواب،منبهاً بالتكرير والحذف على قوة المبالغة وشدة التهويل "[١].

كما وصل جملة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ بجملة ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾؛لأن المقصود اشراكها في الحكم،" أي ولولا أن الله رؤوف رحيم بكم لترككم في ظلمات الجهل فثارت بينكم الفتن "[٢]،قال ابن عاشور:"وذكر هنا بأنه ﴿رؤوف رحيم﴾؛لأن هذا التنبيه الذي تضمنه التذييل فيه انتشال للأمة من اضطراب عظيم في أخلاقها وآدابها وانفصام عرى وحدتها فأنقذها من ذلك رأفة ورحمة لآحادها وجماعتها وحفظا لأواصرها"[٣].

وتكلم صاحب التفسير الإعلامي لسورة النور عن الأسلوب الذي سردت فيه حادثة الإفك قائلاً " وقد صيغت هذه الحادثة صياغة خبرية بقالب السرد الخبري وهو في قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾وهي التي تمثل قاعدة الهرم لما فيه من الإشارة والتنبيه،ثم يلي ذلك جسم الخبر أو صلبه وهو عبارة عن الحقائق التي ذكرت تلو الأخرى بعد الخبر الأول والتي تمثل في التوثيق الإعلامي "[٤] .

ومن خلال ما سبق، اتضح لنا بعضاً من دور الفصل والوصل، في الانسجام النصي، والتناسب التركيبي بين آيات سورة النور ذلك؛ لأن الفصل يحدث الترابط عبر العلاقات المعنوية،

---

(١) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ٢٤٦.

(٢)المصدر نفسه، ج٥، ص ٢٤٦.

(٣) التحرير والتنوير، ج١٨، ص ١٤٩.

(٤) التفسير الإعلامي لسورة النور، خالد إبراهيم الفتياني، دار طوباس للنشر والتوزيع، الآيات، ٢٣-٢٥.

والوصل يعتمد على الوسائل اللغوية ،وكل ذلك ربط للبنية الكلية للنص التي تساهم في التناسب الدلالي ،من خلال وصله ووقفه ،فيحدث طاقة تعبيرية جديدة، تدفع المتلقي من خلال السياق إلى كيفية تحديد المعنى، وفهم التناسب والتماسك داخله .

المطلب الثاني: التناسب بين الإيجاز والإطناب

*اجتمع ايجاز القصر والحذف في سورة النور، في قوله تعالى :﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور:٥٣] جاءت هذه الآية في الحديث عن المنافقين،يقول القرطبي "لما بين كراهتهم لحكم النبي صلى الله عليه وسلم أتوه فقالوا: والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا ونسائنا وأموالنا لخرجنا،ولو أمرتنا بالجهاد لجاهدنا "[١]فلم ينص على الجهاد أو الخروج من البيوت والأموال.

أما إيجاز القصر فقد جاء في قوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ يقول ابن عاشور: "كلام أرسل مثلا وتحته معان جمة"[٢] وقد يكون في قوله تعالى : ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ﴾ إيجاز

* الإيجاز في اللغة : وجز الكلام وجازة و وجزا وأوجز قل في بلاغة وأوجزه اختصره،وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف مقتصر" ينظر :لسان العرب، ابن منظور، مادة :وجز، وفي الاصطلاح :" وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني "البيان والتبيين ،ينظر: الجاحظ،ج١، ص ٢٦،وقد مدح العرب قديما الإيجاز فقال أحد البلغاء " البلاغة إجاعة اللفظ وإشباع المعنى "ينظر:العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل، بيروت، ج٧، ص٢١٢ ،وينقسم الإيجاز إلى قسمين : -إيجاز حذف : " وهو التعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة أقل منها بحذف شيء من التركيب مع عدم الإخلال بالمعنى "ينظر:المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين ،دار الفكر العربي ،ص ٢٥١،إيجاز القصر وهو : تضمين العبارات القصيرة معان كثيرة من غير حذف " ينظر:المصدر نفسه، ص ٢٥٤، الإطناب :ويقال عن الإطناب في اللغة : "والإطناب البلاغة في المنطق والوصف مدحا كان أو ذما وأطنب في الكلام بالغ فيه والإطناب المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه،وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد "ينظر : لسان العرب، مادة : (طنب) . وسأقتصر في هذا الفصل على شواهد إيجاز الحذف في الجملة،لأن حذف المفرد سبق تناوله في الفصل الماضي .

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٢، ص ٢٩٦.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ٢٢٣.

حذف،والتقدير : " طاعة معروفة أمثل وأولى بكم من هذه الإيمان الكاذبة "[١] وعلى رأي الزمخشري،تخرج من إيجاز القصر،حيث وجد حذف في الكلام،وهذا الحذف يدل على الشمول لكثير من الأعمال الباطنة التي يخفيها المنافقون،وكانت هذه السورة نور جلاء لتلك الأمور الخفية .

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النـــــور:٥٦]

جمعت هذه الآية جميع الأعمال الصالحة،فصرح بالصلاة والزكاة ؛لأهميتها،وتضمنت طاعة الرسول كل ما أمر به أو نهى عنه،ويترتب على ذلك حصول الرحمة في الدنيا والدرجات العلى في الآخرة،وقد رسم ذلك الجزاء بأقل عدد من الألفاظ .

قـــال تعـــالى :﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور:٥٢]ومعنى هذه الآية" أنَ مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فيما أمره ونهاه،ويسلم لحكمهما له وعليه،ويخف عاقبة معصية الله ويحذره،ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه فالذين يفعلون ذلك هُمُ الْفَائِزُونَ برضا الله عنهم يَوم القيامة،وأمنهم من عذابه"[٢].

قال ابن عاشور: " فجمعت الآية أسباب الفوز في الآخرة وأيضا في الدنيا"[٣] ،بعدد قليل من الكلمات وهذا إيجاز قصر .

يقول الرازي: " وهذه الآية على إيجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين أن يفعلوه"[٤].

فالإيجاز لم يؤثر على معاني الآيات،ولم يخل ببلاغتها ووضوحها،وقد صدق الدكتور محمد دراز حين قال متحدثاّ عن إيجاز الحذف في القرآن: "فلقد تراه يعمد بعد حذف فضول الكلام وزوائده ،إلى حذف شيء من أصوله وأركانه التي لا يتم الكلام في العادة بدونها،ولا يستقيم المعنى إلا بها،ولقد يتناول بهذا الحذف كلمات وجملا كثيرة متلاحقة ومتفرقة في القطعة الواحدة،ثم تراه في

(١) الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص ٢٥٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج١٩، ص ٢٠٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ٢٢١.

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٤، ص ٢١.

الوقت نفسه يستثمر تلك البقية الباقية في اللفظ في تأدية المعنى كله بجلاء ووضوح،وفي طلاوة وعذوبة،حتى يخيل إليك من سهولة مسلك المعنى في لفظه أن لفظه أوسع منه قليلا "[١].

وعلى الرغم من أن علماء البلاغة امتدحوا الإيجاز ونوهوا به كثيراً،إلا أننا نجدهم يمدحون الإطناب كذلك " فقد سئل أحد البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم وكثير لا يسأم "[٢]

و تنوعت صور الإطناب في سورة النور ومنه:

– قوله تعالى :﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النور:٢٦]

جاء الإطناب عن طريق **التعريض** [٣]من خلال عطف جملة ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾ على ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾، وعطف جملة ﴿ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ على جملة ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾، وهذا " إطناب لمزيد العناية بتقرير هذا الحكم،ولتكون الجملة بمنزلة المثل مستقلة بدلالتها على الحكم،وليكون الاستدلال على حال القرين بحال مقارنه حاصلا من أي جانب ابتدأه السامع، للدلالة على أن المقارنة دليل على حال القرينين في الخير أيضا"[٤]

– وجاء الإطناب عن طريق **ذكر الخاص بعد العام** في قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ

(١) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز ، ص١٣٦ .

(٢) العمدة، ابن رشيق القيرواني، ج١، ص ٤٢.

(٣) التعريض :" أنه يعقل منها إثبات الفعل لشيء، ونفيه عن غيره دفعة واحدة"وهو ضد التصريح، وأعم من الكناية ؛لأنه يدخل فيه الحقيقة . ينظر : الإيضاح، القزويني، ص ١٢٥.

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٥٦.

أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١]

لتطهير المجتمع الإسلامي من الزنا فرض الله –تعالى– العقوبة على الزناة،وليطهر المجتمع من كل ما يثير ويسبب في الوقوع في الزنا، أمر سبحانه بغض البصر وحفظ الفرج،فأمر الله المؤمنات في هذه الآية بغض البصر وحفظ الفرج،–كما أمرهم في الآية السابقة كذلك .

يقول القرطبي :"خص الله سبحانه وتعالى الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد،فإن قوله: " قل للمؤمنين " يكفى ؛لأنه قول عام يتناول الذكر والأنثى من المؤمنين،حسب كل خطاب عام في القرآن"(١).

وعلى هذا يكون الأمر إطناباً على طريقه ذكر الخاص بعد العام "أردف أمر المؤمنين بأمر المؤمنات لأن الحكمة في الأمرين واحدة،وتصريحا بما تقرر في أوامر الشريعة المخاطب بها الرجال من أنها تشمل النساء أيضا، ولكنه لما كان هذا الأمر قد يظن أنه خاص بالرجال لأنهم أكثر ارتكابا لضده وقع النص على هذا الشمول بأمر النساء بذلك أيضا"(٢).

ثم احترس(٣) واستثنى الزينة الظاهرة بقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ﴾ يقول القرطبي :" قال ابن عطية: ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدي زينتها وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة،ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه،أو إصلاح شأن ونحو ذلك.

ف﴿ ما ظهر ﴾ على هذا الوجه مما تؤدي إليه الضرورة في النساء فهو المعفو عنه "(٤)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٢، ص ٢٢٦.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٦٤.

(٣)الاحتراس :" وهو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو ضربان ضرب يتوسط الكلام ،وضرب يقع في آخر الكلام " ينظر : الإيضاح ،القزويني ،ص ١٩٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٢، ص ٢٢٦.

وعلل الزمخشري ذلك بقوله:" وذكر الزينة دون مواقعها : للمبالغة في الأمر بالتصوّن والتستر؛لأنّ هذه الزينة واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء"(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ إطناب حيث ذكر ﷻ ﴿أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ بعد ﴿جَمِيعًا ﴾،والغرض من هذا هو زيادة العناية والتنبيه،وبيان أهمية التوبة،مهما حصل من زلل،فكيف لا ؟ والآمر كله الله ﷻ .

وجاء الإطناب أيضاً في قوله تعالى :﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣﴾ [النور:٣٣]

" لما تقدم سبحانه إلى عباده في الأمور العامة في الزنا وأسبابه،فحكم وقرر،ووعظ وحذر،أتبعه بأسباب العصمة التي هي نعم العون على التوبة"(٢) ففي قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ ترغيب بالصبر وانتظار فضل الله وكرمه،لاسيما أن الله وعد بالغنى لمن أراد الزواج في الآية السابقة لها حيث قال سبحانه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٣٢﴾ [النور:٣٢]

وهنا يظهر " أن فضله أولى بالإعفاء وأدنى من الصلحاء"(٣) ،وهذا **التكرير** من صور الإطناب .

(١) الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص ٢٣٥.

(٢) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٦٠.

(٣) الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص ٢٤٢.

قال الزمخشري "وما أحسن ما رتب هذه الأوامر : حيث أمر أولاً بما يعصم من الفتنة ويبعد مواقعة المعصية وهو غضّ البصر،ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام،ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه"[1].

وفي قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ احتراس،فليس كل رقيق يستحق الإعتاق إلا من تنطبق عليه صفة الخيرية﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ .

ثم انتقل سبحانه إلى فئة الإماء فقال ﷻ ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ ليحذر ﷻ من إكراه الإماء على الزنا،وفي هذا احتراس في قوله :﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ فالحياة الدنيا زائلة،وعرضهم حقير وهو ابتغاء المال،إضافة إلى الوعيد بالإثم العظيم .

وفي هذا تناسب مع روح السورة،فالحياة الفاضلة،والرقي الاجتماعي مطلب لكل فئات المجتمع،وإن كثرت الملهيات،والمغريات في هذه الحياة الزائلة .

وفي قوله تعالى :﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾[النور:٥٧] ،جاء الإطناب في قوله تعالى ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ حيث ختمت الآية بذكر مصيرهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فبئس الحياة وبئس المعاد .

ولذلك حري بالمؤمن أن يستشعر نعمة الإسلام عليه، وكفى بها نعمة،لا سيما أنّ الحياة في ظل الإسلام حياة سعيدة في الدنيا والآخرة .

(١)المصدر نفسه، ج٣، ص ٢٤٢-٢٤٣.

ومن هنا نصل أن نظم القرآن،لا يتوقف عند حذف ولا توليد للألفاظ،وإنما بلاغته تكمن في الجمع والوفاء بحق اللفظ والمعنى معاً،وإن اختلفت المسميات عند العلماء،يقول الدكتور محمد دراز: "إن القرآن الكريم يستثمر دائماً برفق أقلَّ ما يمكن من اللفظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني؛ أجل،تلك ظاهرة بارزة فيه كله؛ يستوي فيها مواضع إجماله التي يسميها الناس مقام الإيجاز،ومواضع تفصيله التي يسمونها مقام الإطناب؛ ولذلك نسميه إيجازاً كله"(١).

ومن خلال دراسة ظاهرتا الإيجاز والإطناب في آيات سورة تبين أنهما ظاهرتنا يفرضهما النص ؛ضرورة اجتماعية أو أخلاقية في المقام الأول، لها تأثيراتها الواضحة على المتلقي في توجيهه نحو منحى معي في القراءة، ثم للتماسك النصي في المقام الآخر .

فالانسجام النصي يتحقق في العناصر اللغوية المحذوفة، كما يتحقق في العناصر التي تكون في مقام الذكر ،و الآلية التي تحدد ظاهرة الإيجاز والإطناب هي حالة المتلقي، فهي تتمثل في مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

(١) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبدالله دراز، ص١٢٧.

الفصل الثاني:

التناسب في أساليب التصوير الفني في سورة النور

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الانزياح التشبيهي .

المبحث الثاني :الانزياح المجازي.

المبحث الثالث: الانزياح الاستعاري.

المبحث الرابع: الانزياح الكنائي.

في هذا الفصل سأعرض بعضاً من ألوان الانزياح الدلالي الذي يقوم على استبدال المعنى الحقيقي السطحي للفظة بالمعنى المجازي العميق،حيث يتم الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني إذ إن المراد هو المعنى الثاني أو مايسمية عبد القاهر الجرجاني "معنى المعنى" وهو الذي يكون على سبيل المجاز، وهو أن " تعقِلَ من اللفظِ معنًى ثم يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ"(١).

(المبحث الأول)

الانزياح التشبيهي :

*التصوير الفني في القرآن قائم على مبدأ التناسب فهو يراعى التناسب بين أطراف الصورة البيانية ذاتها وبين موضوع السورة التي صيغت فيها،كذلك تناسب الصور في السورة الواحدة فلابد من جامعة تجمع بينها بخيوط دقيقة رائعة تدور حول محور السورة .

وقد جاء التشبيه في آيات ثلاث في سورة النور في قوله تعالى: **﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾ [النور:٣٥]**

جاء التشبيه في هذه الآية تمثيلياً و" لا بد في التشبيه من أمرين: المشبه والمشبه به"(٢).

" فيه أربعة أقاويل :

﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ فيه أربعة أقاويل:

أحدها : مثل نور الله،فيه قولان :

---

* التشبيه في اللغة : "والشبيه المثل والجمع أشباه وأشبه الشيء الشيء ماثله،وتشابه الشيئان واشتبها أشبه كل واحد صاحبه،والتشبيه التمثيل" لسان العرب، ينظر :ابن منظور، مادة :شبه،وفي الاصطلاح :"التشبيه الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى،وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه،ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ،القزويني ،ص ٢٠٣،" ويتضح من ذلك أركان التشبيه " وهي أربعة طرفاه ووجهه وأداته وفي الغرض منه"ينظر:الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص ٢٠٧.

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٢٠٤.

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ص ٢٠٢.

١-﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾: في قلب محمد .

٢-﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ في قلب المؤمن . قاله ابن عباس .

الثاني : مثل نور محمد ﷺ،يعني : في قلب المؤمن قاله ابن شجرة .

الثالث : مثل نور المؤمن،يعني في قلب نفسه قاله أُبي .

الرابع : مثل نور القرآن،يعني : في قلب محمد ﷺ قاله سفيان "[١].

وسأشرح التشبيه معتمدة على القول الأول،كما فعل كثير من المفسرين ؛ لأنه أقرب إلى محور السورة،وهو هداية الله لعباده المؤمنين،عن طريق آدابه وأحكامه وشرائعه .

فالمشبه هو : هداية الله للمؤمنين،وإرشادهم،وإشعاع النور في قلوبهم ،المشبه به :" المصباح الذي حفت به وسائل قوة الإشراق "[٢].

ولقد اختلف المفسرون في بيان معنى المشكاة،ولذي ارتضيته وملت إليه، ما قاله ابن عاشور قال: " والمشكاة المعروف من كلام أهل اللغة أنها فرجة في الجدار مثل الكوة لكنها غير نافذة فإن كانت نافذة فهي الكوة، ولا يوجد في كلام الموثوق عنهم من أهل العربية غير هذا المعنى،واقتصر عليه الراغب وصاحب القاموس والكشاف واتفقوا على أنها كلمة حبشية أدخلها العرب في كلامهم فعدت في الألفاظ الواقعة في القرآن بغير لغة العرب. ووقع ذلك في صحيح البخاري فيما فسره من مفردات سورة النور"[٣].

ووجه الشبه : هو هيئة اجتماع وتضافر وسائل القوة والإشراق.

وشرح الرازي هذا التشبيه التمثيلي كما أسماه هو أيضاً بقوله: " والمعنى أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات وصارت في ذلك بمنزلة المشكاة التي تكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء"[٤]، ثم بين سبب اختيار المشبه دون سواه،بقوله :"فإن قيل لم شبهه بذلك وقد علمنا أن ضوء الشمس أبلغ من ذلك بكثير قلنا: إنه سبحانه أراد أن يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة؛ لأن الغالب على

---

(١) النكت والعيون، الماوردي، ج٤، ص ١٠٢، ١٠١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٨٧.

(٣)المصدر نفسه، ج ١٨، ص ١٨٨ .

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٣، ص ٢٠٢.

أوهام الخلق وخيالاتهم ،إنما هو الشبهات التي هي كالظلمات ،وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات، وهذا المقصود لا يحصل من ضوء الشمس؛ لأن ضوءها إذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص، وإذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل هنا أليق وأوفق"(١).

وقد قابل ابن عاشور بين أطراف هذا التشبيه بقوله : "فالمشكاة يشبهها ما في الإرشاد الإلهي من انضباط اليقين وإحاطة الدلالة بالمدلولات دون تردد،وحفظ المصباح من الانطفاء مع ما يحيط بالقرآن من حفظه من الله بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجر:٩] ومعاني (هداية) إرشاد الإسلام تشبه المصباح في التبصير والإيضاح،وتبيين الحقائق من ذلك الإرشاد،وسلامته من أن يطرقه الشك واللبس يشبه الزجاجة في تجلية حال ما تحتوي عليه كما قال: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ۝٣٤﴾ [النور:٣٤] والوحي الذي أبلغ الله به حقائق الديانة من القرآن والسنة، يشبه الشجرة المباركة التي تعطي ثمرة يستخرج منها دلائل الإرشاد،وسماحة الإسلام وانتفاء الحرج عنه يشبه توسط الشجرة بين طرفي الأفق فهو وسط بين الشدة المحرجة وبين اللين المفرط،ودوام ذلك الإرشاد وتجدده يشبه الإيقاد، وتعليم النبي ﷺأمته ببيان القرآن ،وتشريع الأحكام يشبه الزيت الصافي الذي حصلت به البصيرة، وهو مع ذلك بين قريب التناول يكاد لا يحتاج إلى إلحاح المعلم،وانتصاب النبيﷺ للتعليم يشبه مس النار للسراج، وهذا يومئ إلى استمرار هذا الإرشاد.

كما أن قوله: ﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾ يومئ إلى الحاجة إلى اجتهاد علماء الدين في استخراج إرشاده على مرور الأزمنة؛ لأن استخراج الزيت من ثمر الشجرة يتوقف على اعتصار الثمرة وهو الاستنباط"(٢).

وهذا التداخل بين المعاني في الآية متناسب مع سياق السورة،وتطورات العلاقات،وتنظيمها كذلك ناسب الانتقال من دائرة لأخرى مع الحدود المانعة التي حدتها السورة من الوقوع في الأعراض وعدم إبداء الزينة إلا بحدود ،والأمر بغض النظر،فكأنما لكل دائرة حدود،فهي تحث المؤمنين على

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٣، ص ٢٠٢.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٩٥.

التماس سبل الهداية وطرقها،حيث بينها اللهﷻ لكل ذي عقلوبصيرة،وسخر لنا السبل المتجهه إلى هذا الطريق المنير،المؤدي لسعادة الدارين .

وفي الآية أيضاً تشبيه مفرد،حسي مرسل[١]،في قوله تعالى ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فقد شبه الزجاجة بالكوكب الدري،وأداة الشبه هي : كأن،ووجه الشبه،الصفاء والبياض .

وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن أحكام الله وشريعته،متى ما اتبعها مجتمع فسوف يكون كالكوكب الدري بين المجتمعات،كيف إذا كان المجتمع هو مجتمع مؤمن فهم الزجاجة التي تحيط بهذا النور،بل هم أقرب من ذلك كما قال الزركشي:" وكل مصباح في القرآن فهو الكوكب إلا الذي في سورة النور المصباح في زجاجة فإنه السراج نفسه "[٢]فعليهم المحافظة على هذا النور،وسد كل ما يحجبه من زنا وبواعثه،وإتباع خطوات الشيطان،ولزوم أوامر الله واجتناب نواهيه .

و إذا كان أسلوب التقابل من أساليب القرآن الكريم في عرض المشاهد في السورة الواحدة،فإن هذا التقابل قد يختلف بين مشهد لآخر،طولاً وقصراً ،حسب ما يناسب الموضوع ،وسياق السورة التي يرد فيها،ومن خلال سورة النور فإن هذين المشهدين قائمان على مبدأ التقابل والتناسب الأسلوبي بين المشاهد في الصورة عامة:

١- تشبيه تمثيلي قال عنه الرازي " اعلم أنه سبحانه لما بين حال المؤمن ،وأنه في الدنيا يكون في النور، وبسببه يكون متمسكاً بالعمل الصالح ،ثم بين أنه في الآخرة يكون فائزاً بالنعيم المقيم والثواب العظيم، أتبع ذلك بأن بين أن الكافر يكون في الآخرة في أشد الخسران، وفي الدنيا في أعظم أنواع الظلمات ،وضرب لكل واحد منهما مثلاً، أما المثل الدال على خيبته في الآخرة فهو"[٣] قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور:٣٩]

(١)التشبيه المرسل :هو ما ذكرت فيه الأداة، ينظر :بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي ،ج١،ص ٢٨٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص١٠٩.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، ج ٢٤، ص ٧.

فالمشبه هو :" الذي يأتي به الكافر إن كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواباً، مع أنه يعتقد أن له ثواباً عليه ،وإن كان من أفعال الإثم فهو يستحق عليه عقاباً" [١].

والمشبه به : "حاله حال الظمآن الذي تشتد حاجته إلى الماء ،فإذا شاهد السراب تعلق قلبه به ،ويرجو به النجاة ،ويقوى طمعه، فإذا جاءه وأيس مما كان يرجوه فيعظم ذلك عليه"[٢].

وجه الشبه :" حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه"[٣].

وقد شرح صاحب الإيضاح هذا التشبيه،عندما تحدث عن المركب العقلي فقال :"شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ،ثم يخيب في العاقبة في أمله، ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماء، فيأتيه فلا يجد ما رجاه، ويجد زبانية الله عنده ،فيأخذونه فيعتلونه إلى جهنم ،فيسقونه الحميم والغساق، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ،وذلك أنه روعي من الكافر فعل مخصوص ،وهو حسبان الأعمال نافعة له ،وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الإيمان به وبرسله –عليهم السلام – وأنها لا تفيدهم في العاقبة شيئا وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم"[٤].

ويزيد صاحب الظلال هذا التشبيه عمقاً أدبياً بقوله: "يرسم أعمالهم كسراب في أرض مكشوفة مبسوطة،يلتمع التماعاً كاذباً،فيتبعه صاحبه الظامئ،وهو يتوقع الري غافلاً عما ينتظره هناك، وفجأة يتحرك المشهد حركة عنيفة،فهذا السائر وراء السراب،الظامئ الذي يتوقع الشراب،الغافل عما ينتظره هناك،يصل،فلا يجد ماء يرويه،إنما يجد المفاجأة المذهلة التي لم تخطر له ببال،المرعبة التي تقطع الأوصال،وتورث الخبال : ﴿ ووجد الله عنده ﴾ ! الله الذي كفر به وجحده،وخاصمه وعاداه،وجده هنالك ينتظره! ولو وجد في هذه المفاجأة خصماً له من بني البشر لروّعه،وهو ذاهل غافل على غير استعداد، فكيف وهو يجد الله القوي المنتقم الجبار؟

---

(١)مفاتيح الغيب،الرازي، ج٢٤، ص ٨.

(٢) مفاتيح الغيب،الرازي ج ٢٤، ص ٨.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص ٢٢٠.

(٤)المصدر نفسه، ص٢٢٠.

﴿ فوفاه حسابه ﴾ ،هكذا في سرعة عاجلة،تتناسق مع البغتة و الفجاءة،﴿ والله سريع الحساب ﴾، تعقيب يتناسق مع المشهد الخاطف المرتاع"[١].

أما التشبيه التمثيلي الذي جسد أعمال الكافرين السيئة،الظاهرة منهاوالباطنة فهو قوله تعالى : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]

المشبه : هي عقائد الكفار الفاسدة .

المشبه به : الظلمات الكثيفة المتطابقة .

وجه الشبه :الهيئة الحاصلة من أشياء متراكمة بلا فائدة .

والغرض من ذلك التشبيه : تقبيح صورة المشبه به،يقول البقاعي في ذلك :" فقال عاطفاً على ﴿كسراب﴾ قوله : ﴿ أو ﴾ للتخيير،أي أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب،ولكونها خالية من نور الحق ﴿كظلمات﴾

أو: للتنويع،فإنها إن كانت حسنة الظاهر، فكالسراب،أو قبيحة، فكالظلمات،أو للتقسيم باعتبار وقتين ،كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة "[٢].

وتحدث ابن الجوزي عن وجه هذا التمثيل فقال : " ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات والمعنى أن الكافر في حيرة لا يهتدي لرشد ،وقيل: ﴿ظلمات﴾ ظلمة الشرك ،وظلمة المعاصي، وقال بعضهم: ضرب الظلمات مثلا لعمله، والبحر اللجي لقلبه ،والموج لما يغشى قلبه من الشرك والجهل والحيرة ،والسحاب للرين والختم على قلبه، فكلامه ظلمة ،وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة ،ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة "[٣].

" وتطبق على الذين كفروا الظلمة بعد الالتماع الكاذب، ويتمثل الهول في ظلمات البحر اللجي،موج من فوقه موج،من فوقه سحاب،وتتراكم الظلمات بعضها فوق بعض،حتى ليخرج يده أمام بصره فلا يراها لشدة الرعب والظلام!

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ٤، ص ٢٥٢١.

(٢) نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص ٢٧٠.

(٣)زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤، الناشر : المكتب الإسلامي،بيروت، ج٦، ص٥١ .

إنه الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله الفائض في الكون،وضلال لا يرى فيه القلب أقرب علامات الهدى،ومخافة لا أمن فيها ولا قرار ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾"[1].

وتظهر المقابلة في هذا المشهد ،بينه وبين التشبيه السابق ﴿كسراب بقيعة﴾، فمن ناحية الصورة المكانية هنا: ماء متلاطم الأمواج ،وهناك صحراء يابسة،وهنا الجبال العالية من الأمواج،وهناك الاستواء المناسب مع طول الأمل، والوهم في الوصول للغاية،كذلك المقابلة بين السراب في وضح النهار،والظلمة الحالكة في لجة البحر،وكأن هذا المشهد صور ما بداخل نفوس الكفار ومن شابههم ،يتراءون لنا سعداء ،إلا أن التخبط والضياع يتربع داخل خلجات نفوسهم المتشابهة مع ظلمة البحر، ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ونور النهار في هذا المشهد لا يضاهى النور الذي في المشهد الأول من السورة ؛ لذلك يجب على المسلم أن يجعل رضا الله هدفه الذي لا يحيد عنه،مهما كثرت المغريات والملهيات،فالأعمال إن لم تكن كما شرعها الله وإن كانت حسنة تذهب بلا فائدة،فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام .

وهذه الصور البيانية التي ذكرتها ظهر فيها التناسب الأسلوبي جلياً،مع أن السورة فيها صور أخرى؛ إلا أنها أقرب إلى تناسب السياق الذي سيقت من أجله من تناسبها مع موضوع السورة بشكل عام.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب،ج٤، ص٢٥٢١.

(المبحث الثاني)

الانزياح المجازي :

*ولا يختلف معنى المجاز في الاصطلاح كثيراً عن معناه اللغوي،بل يشترك المعنيان في الدلالة على التحول والانتقال،ويجمع جمهور البلاغيين على أن المجاز يعني : استخدام الكلمة في معنى غير المعنى الذي وضعت له في أصل اللغة،"فإذا كانت الحقيقة أصلاً في الاستعمال اللغوي،فإن المجاز خروج عن هذا الأصل،وانتقال في دلالة الكلمة المعينة من مساحة دلالية محددة إلى مساحة أخرى لعلاقة بين الدلالتين،مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي "[1]،وعلى هذا القول الذي يؤكد بأن المجاز تغير في الدلالة أو المعنى، جاءت آيات من سورة النور، كقوله تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [النور:٣]

في هذه الآية مجاز،علاقته اعتبار ما كانوا ذلك في التعبير باسم الفاعل ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ و ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ﴾ يقول الدكتور عبد الفتاح لاشين: " سماهما بهذا نظراً لما كان عليه كل منهما،وفي ذلك استحضار لصورة الماضي وتجسيد له ؛حتى يتصور السامع وقائع الحادث مرتين ويربط ما كان من أحداثه بما يكون لفتا للأصل وتنبيهاً عليه "[2].

وفي هذه الصورة تنفير للمسلمين من الوقوع في هذه الرذيلة، وإن زينها الشيطان لهم،كذلك ذهاب الرحمة من قلوب المؤمنين، التي تحملهم على تخفيف الحد على الزناة،ففي عقابهم طهارة مجتمع بأكمله .

---

* يدور لفظ المجاز في اللغة :حول معاني الانتقال والعبور من مكان لآخر " جزت الطريق وجاز الموضع جوزا وجؤوزا وجوازا ومجازا وجاز به ،وجاوزه جوازا وأجازه وأجاز غيره وجازه سار فيه ،وسلكه وأجازه خلفه، وقطعه"ينظر :لسان العرب، ابن منظور، مادة :(جوز).

(١) أسلوبية الانزياح في النص القرآني، أحمد الخرشة، ص ٥٩.

(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن،عبد الفتاح لا شين،دار الفكر العربي،الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ،١٩٩٨م ص ١٤٧.

وقال تعالى ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور:١٥] وفي هذه الصورة استحضار لحال الذين خاضوا في حديث الإفك الذين انقسموا إلى فريقين :

"أحدهما : هو أن تتحدث به وتلقيه بين الناس حتى ينتشر .

الثاني : أن يتلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره "[١]،وهذا تأنيب لهم،و تفضيع لفعلتهم". وإنما جعلت الألسن آلة للتلقي مع أن تلقي الأخبار بالأسماع؛ لأنه لما كان هذا التلقي غايته التحدث بالخبر جعلت الألسن مكان الأسماع مجازا بعلاقة الأيلولة، وفيه تعريض بحرصهم على تلقي هذا الخبر، فهم حين يتلقونه يبادرون بالإخبار به بلا ترو ولا تريث"[٢].

وزاد في تأنيبهم بقوله تعالى ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾" مع أن القول لا يكون بغير الأفواه فصار الكلام مجرد ألفاظ تجري على الأفواه"[٣]،فحري بالمسلم أن لا يطلق للسانه العنان في قول كل ما سمع،بل لا بد له من تعقل وروية،ومراعاة مصلحة الفرد والجماعة،عند نشر الأخبار.

(١) النكت والعيون، الماوردي، ج٤، ص ٨٢.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٤٣.

(٣)المصدر نفسه، ج١٨، ص ١٤٣.

(المبحث الثالث)

الانزياح الاستعاري :

*وإذا ما انتقلنا إلى الاستعارة وطبيعة توظيفها في النص القرآني،فإننا نجد الأقدمين عندما تحدثوا عن الاستعارة في القرآن الكريم ،قد اقتصروا على ذكر أنواعها، "وربما زاد بعضهم فأجرى الاستعارة مكتفياً بهذا القدر في بيان الجمال الفني لهذا اللون من التصوير "[١]،ولهذا فإني في هذا المبحث سأحاول أن أبين الانزياح الاستعاري،و دوره في التناسب بين آيات السورة والوحدة الموضوعية الرابطة بين هذه الآيات من خلال نماذج مختارة من سورة النور .

ومن تلك الاستعارات المصورة الموحية،قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[النور:٤]

وقوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور:٢٣]

ففي قوله تعالى ﴿يَرْمُونَ﴾ عبر بالرمي عن القذف في الزنا، لقد اشتق من الرمي[٢] الفعل يرمي،ثم استعير على سبيل الاستعارة التصريحية ؛ لأنه صرح بالمشبه به،والتعبير بالرمي " عن صلابة الآلة وإيلام المرمى وبعده عن الرامي إيذان بشدة تأثيره فيهن "[٣].

فالأسلوب القرآني انزاح عن (القذف) إلى لفظ (الرمي) لما يحمله الأخير من معاني الألم الجسدي والنفسي،وكأنما الرمي اكتسب مدلولاً جديداً وهو القذف بالزنا .

يقول الشعراوي :" هذا كله ليزجر كل مَنْ تسوِّل له نفسه الخوْضَ في أعراض الحرائر واتهام النساء الطاهرات؛ لذلك عبَّر عن القَذْف بالرمي؛ لأنه غالباً ما يكون عن عجلة وعدم تثبت،فالحق –

(١) أسلوبية الانزياح في النص القرآني، أحمد الخرشه، ص ٨٧.

(٢)الرمي في اللغة :" رمى يرمي رميا فهو رام،ورمى فلان فلانا بأمر قبيح أي قذفه"ينظر :لسان العرب، ابن منظور، مادة :(رمى) .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ابو السعود، ج ٦، ص ١٥٧.

تبارك وتعالى – يريد أن يحفظ مجتمع الإيمان من أن تشيع فيه الفاحشة،أو مجرد ذكرها والحديث عنها"[١].

ولقد استعير الرمي لمن يتهم زوجته بالزنا فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور:٤]، وشرع اللعان،لاحتمال الكذب،وفي هذا بيان للوضع النفسي التي تعيشه المرأة إن كانت مظلومة،والرمي صور هذا الإحساس إلى أمر ظاهر،فيجب على المؤمن الابتعاد والتنزه عن هذه الأمور حفاظاً على الفرد والمجتمع،فالمرأة إحدى عناصر هذا المجتمع ،فهي أم الرجال، وزوج الرجال، وأخت الرجال، فكيف ينشأ مجتمع قد سلبت الثقة والحصانة فيه من أمه وزوجهوأخته .

ومنه قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور: ٢١]

حيث استعير لفظ ﴿خطوات﴾ " فالانتقال من معصية إلى أخرى مأخوذ من نقل القدم بالخطو من مكان إلى مكان"كما يقول الماوردي [٢] حيث انزاح المعنى الحقيقي ل﴿خطوات ﴾ في هذه الآية، إلى معنى مجازي جديد وهو (وساوس الشيطان)،فكل منهما موصل للمعاصي،والجامع بينهما عدم الإبانة والخفاء.

يقول ابن عاشور في الآية : "تمثيل مبني على تشبيه حالة محسوسة بحالة معقولة،إذ لا يعرف السامعون للشيطان خطوات حتى يُنْهوا عن اتباعها"[٣] وهذه الصورة أقرب للإستعارة منها إلى التشبيه ؛ وذلك لعدم ذكر المشبه .

---

(١) تفسير الشعراوي، الشعراوي ، ص ٢٧٧٠ .

(٢) النكت والعيون، الماوردي، ج ٤، ص ٨٢.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٥٠.

وأما قوله تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٥٠]،جاءت الاستعارة في قوله تعالى ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إذ انزاح الأسلوب القرآني من لفظ (النفاق) الحقيقي، إلى لفظ (المرض)المجازي،حيث اكتسب المرض مدلولاً جديداً ،وهو النفاق،لما يحمله من علل خفية خطيرة،على المستوى الفردي أو على المستوى الاجتماعي،فالمرض يفضي بالأجساد للهلاك،وكذلك النفاق يفضي بالقلوب إلى الهلاك "والمرض مستعار للفساد أو للكفر قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ أو للنفاق"[١]،وهي للنفاق أقرب ودل عليه، " ضمير الجمع العائد إلى معروفين عند السامعين، وهم المنافقون؛ لأن ما ذكر بعده هو من أحوالهم"[٢] .

فالمجتمع لا يصاب بالمرض الجسدي فقط،بل أمراض القلوب أعظم ضرراً،فعلى المسلم أن يأخذ حذره من هذا المرض ؛لأنه لن يرقى مجتمع ومن بين أفراده منافقون .

والمتأمل في هذه المدلولات يلاحظ أنّ هناك علاقة سوّغت الانزياح عن المدلول الأول الحقيقي، إلى المدلول الثاني المجازي، مما زاد تصوير المعاني وتمثيلها في النفس، وتأثيرها على المتلقي أضعاف ما يبعثه المعنى الحقيقي، إضافة إلى التأثير الفني والجمالي، والتفاعل بين المتلقي والنص طرداً وعكساً مما يضفي تناسباً وانسجاماً نصياً فريداً.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ٢١٧.

(٢)المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٢١٤.

(المبحث الرابع)

الانزياح الكنائي :

*"يمكن القول إن الانزياح عن لفظة إلى أخرى ،هو ما يميز مفهوم الكناية،ولكن الانزياح عن هذه اللفظة لا يعني الاستغناء التام عنها،بل يظل معناها ماثلاً فاعلاً في الإسلوب الكنائي ؛لأنها هي الدليل على المعنى المقصود،ويستند إليها المتلقي لإدراك مدى القرب أو البعد بين المكنى به والمكنى عنه " [١].

فالكناية بنية ثنائية الإنتاج،حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي، له إنتاج دلالي موازٍ له تماما بحكم المواضعة،لكن يتم تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن، التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات،فإذا لم يتحقق هذا التجاوز،فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة،وهو ما يؤكد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز "[٢]

وقد جرى تقسيم الكناية إلى ثلاثة أقسام عند العلماء وهي :" الكناية عن صفة،الكناية عن موصوف،الكناية عن نسبة "[٣] .

وسأقف في هذا المبحث على نماذج من الكنايات في سورة النور،محاولة الكشف عما فيها من انزياح دلالي،وبيان ما فيها من لطائف وأسرار .

---

* إذا تتبعنا المعنى اللغوي للكناية وجدناها تدل على الانتقال من لفظ إلى آخر يريده المتكلم،يقول ابن منظور " والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط"لسان العرب، ابن منظور ،مادة :كنى ،وفي الاصطلاح : " المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ،ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه ،ويجعله دليلا عليه ،مثال ذلك قولهم "هو طويل النجاد " يريدون طويل القامة" دلائل الإعجاز، الجرجاني، ج١،ص ٦٦.

(١) أسلوبية الانزياح في النص القرآني، أحمد الخرشه، ص ١٠٣.

(٢) البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ص ١٨٧، ١٨٨.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها، فضل عباس، ص ٢٤٩، ٢٤٨.

أولاً:الكناية عن صفة

قال تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور:١٩]

جاءت الكناية في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾يقول ابن عاشور: "فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ؛ لإبراز ما يحب وقوعه،وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار،وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه، فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف ،وعذاب الآخرة وهو أظهر ؛لأنه مما تستحقه النوايا الخبيثة،وتلك المحبة شيء غير الهم بالسيئة وغير حديث النفس؛ لأنهما خاطران يمكن أن ينكف عنهما صاحبهما،وأما المحبة المستمرة فهي رغبة في حصول المحبوب"(١).

فكان التعبير بالمحبة كناية عن صفة نشر الفحش من القول بين أوساط المسلمين ،"ذلك أن الفاحشة إذا سُتِرت ولم تتعد موضعها،ووئدت في مهدها بأن اقتصرت على الشخص الذي فعلها،وسُتِر إن كان الله ستره،فإن ذلك أدعى لصيانة المجتمع؛ ولكن إذا انتشر بين الناس ذكر الفواحش والكلام القبيح،ونسبة الناس إلى الأمور القبيحة فإن ذلك والعياذ بالله مظنة لفتنة الناس،وصدهم عن التخلق بالأخلاق الفاضلة.

وبناءً على هذا فإن الآية الكريمة جاءت بقصد تأديب عباد الله المؤمنين حتى يحفظ كل واحد منهم لسانَه،فلا يتكلم بالأمر القبيح ولا يشيعه بين الناس،ولذلك كان من علامة المؤمن الصادق في إيمانه أنه لا يحب سماع الفحش ولا ينقل ذلك القول الفاحش،ولذلك قالوا: مَن نَقَل الفاحشة فهو أفحش،أي: إذا رضي بها واعتنى بنشرها بين الناس"(٢).

---

(١)التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٤٨.

(٢)تفسير سورة النور، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، ج ٥.

" ويدخل من ضمنهم،الذين يكتبون الأدب المكشوف،والذين يروجون للدعارة الفكرية،والذين ينادون بالحرية الجنسية،والذين يصرون على جعل جسد المرأة مسرحا للدعاية والإعلان،وتعد وسائل الإعلام بجميع أنواعها مع ما تقدمه من مواد لم يراع فيها المنهج الإسلامي القائم على العقيدة والسلوك والأخلاق وتقوى الله عاملاً من عوامل إشاعة الفاحشة "[١] .

وقوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[النور:٢٣] لقد فسّر علماء البلاغة ﴿الغافلات ﴾بـ " اللاتي لا علم لهن بما رمين به،وهذا كناية عن عدم وقوعهن فيما رمين به؛ لأن الذي يفعل الشيء لا يكون غافلا عنه"[٢]فهن أبعد ما يكن عن تلك التهم لإحصانهن وعفافهن،ويرى أبو السعود أن الغافلات هن " العفائف مما رمين به من الفاحشة، الغافلات عنها على الإطلاق، بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها، ولا من مقدماتها أصلا، ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في المحصنات ،أي السليمات الصدور التقيات القلوب عن كل سوء"[٣]،لذلك توعد الله سبحانه من يقوم بهذا الفعل المشين،اللعن في الدنيا والآخرة،والعذاب العظيم في الآخرة.

ثانياً:الكناية عن موصوف

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾[النور:٣٧]

جاءت الكناية في قوله تعالى ﴿يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ وهي كناية عن موصوف وهو يوم القيامة: " تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا، من الشرك والكفر،وتنفتح الأبصار من الأغطية،وقيل: تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء ،تخشى الهلاك وتطمع في النجاة،وتقلب الأبصار من هوله أي: ناحية يؤخذ بهم ذات اليمين، أم ذات الشمال،ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الأيمان، أم من قبل الشمائل،وذلك يوم القيامة. وقيل: تتقلب القلوب في

(١) ينظر: التفسير الإعلامي لسورة النور، الفتياني، ص ٧٩، ٨٠.

(٢)التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٨، ص ١٥٣.

(٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج٦، ص١٦٥.

الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج،وتقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته"[١]. فالمجتمع الذي رجاله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله،هو مجتمع من أسمى المجتمعات،كذلك على المؤمن أن يستعد ليوم القيامة،بمراقبة أفعاله،وأن يعيش حياته بين خوفٍ ورجاء،ومتى كان ذلك كذلك فسيكون المجتمع كله راقياً صانعاً لحضارة إنسانية فريدة ،ومستعداً لحياة الآخرة .

ومن خلال ما سبق يظهر لي أن الانزياح الكنائي يلجأ إلى التعبير عن المعاني بألفاظ لا يدل ظاهر السياق عليها ؛ إما لأن له قبولاً أكثر لدى المتلقي أو أكثر تشويقاً له،وأوسع لأبعاد الخيال عنده ، أو تفتح آفاق إيحائية في دلالة الألفاظ تزيد من تماسك النص واتساقه ،أكثر مما لو ذكر اللفظ على حقيقته في النص القرآني.

(١) معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، ج٦، ص ٥١.

الفصل الثالث:

التناسب الإيقاعي في سورة النور

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التناسب في الفواصل والأصوات والحروف والحركات .

المبحث الثاني : التناسب في توجيه القراءات الواردة في السورة.

(المبحث الأول)

التناسب في الفواصل والأصوات والحروف والحركات

التناسب في الفواصل:

تعد الفاصلة من أهم وسائل الإيقاع في الخطاب القرآني،ومن أهم وسائل التأثير في المتلقي،[١] وتعرف الفاصلة اصطلاحاً"وهى الكلمة في آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع،وقال القاضي أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعانى"[٢] .

و سميت الفواصل بهذا الاسم ؛" لأنه ينفصل عنده الكلامان،وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها وأخذاً من قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فُصِّلَت:٣]"[٣].

ولا يجوز تسميتها "قوافي" إجماعاً،يقول السيوطي؛ " لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا ؛لأنها منه وخاصة في الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه"[٤].

" والتغاير في مبنى الفواصل من خواص نظم القرآن الكريم،وتأتي هذه الظاهرة تنشيطاً للسامع والقارئ،وللملاءمة والاتساق،ومراعاة المعنى،وليس لمجرد الحلية اللفظية،وتتحقق تلك الظاهرة في كثير من السور "[٥].

ولقد التفت الرافعي إلى الأثر الصوتي الذي تحدثه الفاصلة في القرآن فقال: "وما هذه الفواصل التي تنتهي بها صور القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى،وهي متفقة

---

(١)الفصل في اللغة : "الفصل بون ما بين الشيئين، فصلت الشيء فانفصل أي قطعته فانقطع، والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام وقد فصل النظم وعقد مفصل أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة" لسان العرب، ابن منظور، مادة :(فصل)

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٥٣.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٣، ص ٣٣٤.

(٤)المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٤.

(٥) البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد شرشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م، دار الطباعة المحمدية،القاهرة،ص ٧٩.

مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب "[١].

"ولم تلتزم فواصل القرآن العزيز حرف الروي دائما التزام الشعر والسجع،ولم تهمله إهمال النثر المرسل،بل كانت لها صبغتها المتميزة في الالتزام والتحرر من الالتزام"[٢]

– وقد تنوعت فواصل سورة النور تناسباً مع معانيها،فتارة تكون مقررة،وتارة تكون مؤكدة،وتارة تكون مكملة للمعنى،وتنوعت كذلك من حيث الحرف الأخير والوزن،كالفواصل المتماثلة و المتقاربة والمنفردة والمتوازية والمتوازنة،وهذا من تمام بيان القرآن وإعجازه " فالفاصلة ليست معجزة وحدها،بل هي جزء يسهم في الإعجاز،وأيّ جزء"[٣].

الفواصل المتماثلة والمتقاربة والمنفردة:

" الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع،وهذا يكون في السجع وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل،وهذا لا يكون سجعا،ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين –أعنى المتماثل والمتقارب– من أن يأتيي طوعاً سهلاً تابعا للمعاني، أو متكلفاً يتبعه المعنى.

فالقسم الأول هو المحمود الدال على الثقافة وحسن البيان والثاني هو المذموم فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة"[٤].

أولاً:الفاصلة المتماثلة

" وهي الفاصلة التي تماثلت حروف رويها،وتسمى ذات المناسبة التامة "[٥]و"الملاحظ أنّ الفواصل المتماثلة تشيع في الآيات والسور المكية على حين تغلب المتقاربة على الآيات المدنية"[٦] وكذلك في سورة النور،حيث شاعت الفاصلة النونية فيها،ومثال ذلك،التناسب في الآيات التي تصف حال المنافقين :

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ط ٩، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م، ص٢١٦.

(٢) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، الطبعة ٢، دار عمار، الأردن، ١٤٠٣هـ،، ص١٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١٩.

(٤) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٧٢

(٥) الفاصلة في القرآن، الحسناوي، ص ١٤٥.

(٦) المصدر نفسه نفسه، ص ١٤٧.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

اتفقت فواصل هذه الآيات في حرف الروي وبالبنية المقطعية،فهي من الفواصل المتماثلة،كذلك ساهمت الفاصلة في تتمة المعنى وتقريره،فهذه الآيات " تخلص إلى ذكر بعض ممن لم يشأ الله هدايتهم وهم الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام وهم أهل النفاق"[١]" وإنما يظهر كفرهم عندما تحل بهم النوازل والخصومات فلا يطمئنون بحكم رسول الله ﷺ "[٢].

ثانياً:الفاصلة المتقاربة

"وهي التي تقاربت حروف رويها،كتقارب الميم والنون،وتسمى ذات المناسبة غير التامة "[٣] كما في قوله تعالى: **﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيم ﴾ [النور٤:٥]** "كان فاشيا في الجاهلية رمي بعضهم بعضا بالزنى إذا رأوا بين النساء والرجال تعارفا أو محادثة وكان فاشيا فيهم الطعن في الأنساب بهتانا إذا رأوا قلة شبه بين الأب والابن،فكان مما يقترن بحكم حد الزنا أن يذيل بحكم الذين يرمون المحصنات بالزنا إذا كانوا غير أزواجهن وهو حد القذف.. ولا اعتداد بما يتوهم من فارق إلصاق المعرة بالمرأة إذا رميت بالزنا دون الرجل يرمى بالزنا لأن جعل العار على المرأة تزني دون الرجل يزني إنما هو عادة جاهلية لا التفات إليها في الإسلام فقد سوى الإسلام التحريم والحد والعقاب الآجل والذم العاجل بين المرأة والرجل،وقد يعد اعتداء الرجل بزناه أشد من اعتداء المرأة بزناها؛ لأن الرجل الزاني يضيع نسب

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ٢١٤.

(٢)المصدر نفسه، ج١٨، ص٢١٥.

(٣) الفاصلة في القرآن، الحسناوي، ص ١٤٧، ١٤٦.

نسله فهو جان على نفسه،وأما المرأة فولدها لاحق بها لا محالة فلا جناية على نفسها في شأنه،وهما مستويان في الجناية على الولد بإضاعة نسبه فهذا الفارق الموهوم ملغى في القياس.

أما عدم قبول شهادة القاذف في المستقبل؛ فلأنه لما قذف بدون إثبات قد دل على تساهله في الشهادة فكان حقيقا بأن لا يؤخذ بشهادته،والحصر في قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ للمبالغة في شناعة فسقهم حتى كأن ما عداه من الفسوق لا يعد فسقا،والاستثناء في قوله:﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ حقه أن يعود إلى جميع ما تقدم قبله،وهنا راجع إلى خصوص عدم قبول شهادتهم وإثبات فسقهم وغير راجع إلى إقامة الحد،بقرينة قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ومعنى ﴿أَصْلَحُوا﴾،أي اصلحوا أنفسهم باجتناب ما نهوا عنه،﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ على ما يقتضيه الاستثناء من معنى: فاقبلوا شهادتهم واغفروا لهم ما سلف فأن الله غفور رحيم،أي فإن الله أمر بالمغفرة لهم لأنه غفور رحيم"[١]، فمع ارتباط الفواصل بالمعنى والسياق،إلا أن حروفها متقاربة في المخارج .

ثالثاً:الفاصلة المنفردة

"هي التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب "[٢]، وجاءت فريدة في السورة، كما في قوله تعالى :﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ [النور:٣٦]" "هناك صلة تصويرية بين مشهد المشكاة هناك ومشهد البيوت هنا،على طريقة التناسق القرآني في عرض المشاهد ذات الشكل المتشابه أو المتقارب،وهناك صلة مثلها بين المصباح المشرق بالنور في المشكاة،والقلوب المشرقة بالنور في بيوت الله .

تلك البيوت ﴿أذن الله أن ترفع ﴾ وإذن الله هو أمر للنفاذ فهي مرفوعة قائمة،وهي مطهرة رفيعة،يتناسق مشهدها المرفوع مع النور المتألق في السماوات والأرض،وتتناسق طبيعتها الرفيعة مع طبيعة النور السني الوضيء،وتتهيأ بالرفعة والارتفاع لأن يذكر فيها اسم الله وتتسق معها القلوب الوضيئة الطاهرة،المسبحة الواجفة،المصلية الواهبة"[٣]فناسبت الفاصلة هذا المقام العبودي "بالغدو

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١٨، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٢) الفاصلة في القرآن، الحسناوي، ص ١٤٨.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص٢٥٢٠.

والآصال أي: بالغدوات والعشايا،وإفراد طرفي النهار بالذكر كونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال والاشتغال بالاشغال"[١] فكأن هذه الفاصلة تحمل شحنات دلالية شاملة لكل موضوعات السورة،فذكر الله سبحانه يجعل من الفرد شديد الصلة بالله تعالى،ومن ثم يتبع أوامره ويجتنب نواهيه،ومن جهة أخرى كما الجسد له وعليه واجبات،فالروح كذلك ولا يفصل بينهما فاصل حتى مع انشغال الجسد بمشاغل الدنيا،والأمر يسير على من يسره الله عليه،دلت على ذلك الفاصلة اللامية،ذات المخرج اللساني السهل،البعيد عن الجهد المبذول فكان ذلك التناسب في أبلغ وأجمل صوره .

الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن :

"المتوازي: وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع"[٢].

"الفواصل المتوازية قليلة جدا في هذه السورة الكريمة،لا سيما وهي سورة مدنية غلب على فواصلها الاسترسال والهدوء وطول النفس،لأنها تخاطب عقول قوم آمنوا بالله واطمأنوا إلى هدايته،فهي مسوقة لتقرير العبادات وبيان الأحكام وسن القوانين وتنظيم المجتمع وتهذيب الطبائع والأخلاق "[٣].

- **تناسب الفواصل المتوازية في حادثة الإفك :**

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور]

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج٦، ص ١٧٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص٧٢.

(٣) الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص١٦٠.

تكرر لفظ ﴿ عَظِيمٌ﴾ في حادثة الإفك،هذه العظمة شملت كل أطراف القضية،فقد بدأت برأس ذلك الإفك في الآية الرابعة عشر،جاء في وصف العذاب بأنه له ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ وفي الآية الخامسة العشر جاء وصف لعظمة الخوض في حديث الإفك﴿ وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ وفي الآية السادسة عشر وصف لضخامة الكذب في حق بيت النبوة ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ لقد تكررت الفاصلة ؛لتتناسب مع المعاني وترتبط ببعضها،حيث ترك التكرار تناسبا في المعاني والبنية المقطعية،و الإيقاعية .

لقد أكدت الفاصلة عظمة هذا الإثم الذي مس بقداسة بيت النبوة،وهذا له عظيم المكانة عند الله ﷻ .

- **تناسب الفواصل المتوازية المؤكده لصفات الله تعالى** :(١)

﴿ غفور رحيم﴾ آية ٥- ٢٢-٣٣-٦٢	﴿ والله بما تعملون عليم ﴾ آية ٢٨	﴿ تواب حكيم ﴾ آية ١٠
﴿ رؤوف رحيم ﴾ آية ٢٠	﴿سميع عليم ﴾ آية ٢١-٦٠	﴿ إن الله خبير بما تصنعون﴾ آية ٣٠
﴿واسع عليم ﴾ آية ٣٢	﴿ والله بكل شيء عليم ﴾آية ٣٥	﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ آية ٦٤
﴿عليم حكيم ﴾ آية ٥٨- ٥٩	﴿والله عليم بما يفعلون﴾ آية ٤١	﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ آية ٥٣

(١) ينظر سورة النور، الآيات التالية: ٦٤، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٣، ٤١، ٣٥، ٣٢، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢١، ١٩، ١٨ .

لقد حملت آيات سورة النور الكثير من الأحكام والآداب التي تهذب المجتمع المسلم،وترتقي به،فجاءت ما يقارب ثلث فواصل سورة النور تؤكد على علم الله تعالى وإحاطته بأدق تفاصيل شؤون خلقه،فيعلم ما يصلحهم،وما يناسب شؤونهم،تكرر اسم الله ﴿ العليم ﴾ في عشر مواضع في فواصل سورة النور،وهو أكثر أسماء الله تكرارا في الفواصل[١] ،و﴿العليم﴾: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق،وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم"[٢] وهذا الاسم يتناسب مع أحكام تلك السورة وآدابها،مع ما فيها من دقائق وخفايا،وما يدور في النفوس من هواجس لا يعلمها إلا الله سبحانه،كأمور الزنا وبوادره ودواعيه،وأمور القذف،والأعراض وأحكام الأسرة وتشعبها،كل ذلك لا يحيط بعلمه وخفاياه وما يترتب عليه من آثار إلا الله سبحانه.

يلي اسم الله العليم،اسم ﴿الرحيم ﴾ الذي تكرر في خمس مواضع في الفواصل "[٣]،" فالرحمن ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معايشهم ومصالحهم،وعمت المؤمن والكافر،والصالح والطالح،وأما الرحيم فخاص للمؤمنين كقوله : ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾،قال : والرحيم وزنه فعيل بمعنى فاعل،أي راحم،وبناء فعيل أيضا للمبالغة،الرحيم يعني المتعطف بالرحمة على خلقه"[٤] ،وهذا ظاهر في أحكام تلك السورة وإن كان في ظاهر بعضها الشدة،إلا أنه رحمة للبشرية جمعاء وصيانة للأعراض والنفوس،والأسرة المسلمة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع بشكل كامل .

ثم تجلت حكمة الله ومغفرته سبحانه في تكرار " ﴿الحكيم﴾و﴿الغفور﴾ في أربع فواصل و" معنى ﴿الحكيم﴾ : الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب،وإنما ينبغي أن يوصف بذلك؛ لأن أفعاله

---

(١)" ولقد ورد اسم الله ﴿العليم ﴾ في مائة وسبعة وخمسين موضعاً من القرآن الكريم،ومعناه : إنه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم، وما لا يستطيعون إدراكه، من غير أن يكون موصوفا بعقل أو حس، وذلك راجع إلى أنه لا يغيب عنه شيء، ولا يعجزه إدراك شيء." الأسماء والصفات، البيهقي، ص ١٢٤، ١٢٣.

(٢) الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، الطبعة : الأولى الناشر : مكتبة السوادي – جدة، ج١، ص ١٢٤، ١٢٣.

(٣) الاسم الأعظم وقصة الأسماء الحسنى مع الله، ص ٤٣ .

(٤) الأسماء والصفات، البيقهي، ج١، ص ١٣٧-١٤٠.

سديدة،وصنعه متقن،ولا يظهر الفعل المتقن السديد إلا من حكيم،ومعنى الإحكام لخلق الأشياء إنما ينصرف إلى إتقان التدبير فيها،وحسن التقدير لها"[١]وحكمته الشاملة سبحانه في أحكامه من حدود وتشريعات وحلال وحرام في أدق العلاقات والأمور والكون بأكمله .

و﴿غفور﴾ "وَهُوَ الَّذِي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده،ويزيد عفوه على مؤاخذته"[٢]لمن أخطأ فباب المغفرة والتوبة مفتوح،فمع المغفرة في الآخرة،الستر في الدنيا وكذلك الآخرة.

وسمع الله المحيط بكل شئ تكرر مرتين صفة ﴿ السميع ﴾ في فواصل هذه السورة،،وما يخفيه المنافقون من أمور فيما بينهم،فإن الله محيط بها بسمعه الشامل المحيط سبحانه .

أما الفواصل المتوازنة"والمتوازن أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط"[٣]،كما في الآيات التالية:

﴿إن الله خبير بما تصنعون﴾ آية ٣٠	﴿ المؤمنين ﴾ آية ٢ — ٣	﴿الفاسقون ﴾ آية ٤ –٥٥
﴿واسع عليم ﴾ آية ٣٢	﴿ الصادقين ﴾ آية ٦– ٩	﴿ الكاذبين ﴾ آية ٧
﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ آية ٣٥	﴿مؤمنين ﴾ ١٧آية	﴿ الكاذبون ﴾ آية ١٣
﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ آية ٤١	﴿المتقين ﴾ آية ٣٤	﴿ معرضـــون ﴾ آية ٤٨

(١) الأسماء والصفات ،البيقهي، ج١، ص٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص ١٥٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٧٦.

﴿ إن الله خبير بما تعملون ﴾ آية ٥٣	﴿لأولي الأبصـــار ﴾ آية ٤٤	﴿ الظالمون ﴾ آية ٥٠
﴿ عليم حكيم ﴾آية ٥٨- ٥٩	﴿المفلحـــون ﴾ آية ٥١	
﴿والله بكل شيء عليم ﴾ آية ٦٤	﴿الفائزون﴾ آية ٥٢	

الفواصل من حيث التناسب الصوتي :

الفواصل القرآنية ظاهرة أسلوبية جمالية،ولبنة أساسية في بناء هيكل السور القرآنية،تطلق على أواخر الآي في كتاب الله،وتقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها،وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام [1].

ونظراً لأهمية الفواصل يحرص البيان القرآني على اختيارها بدقة،لتكون قيمة صوتية جمالية مثيرة للإيقاع والمحتوى الدلالي.

رقم الآية	الكلمة	الفاصلة
١	﴿تَذَكَّرُونَ﴾	النون
٢	﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	النون
٣	﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	النون
٤	﴿الْفَاسِقُونَ﴾	النون
٥	﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	الميم
٦	﴿الصَّادِقِينَ﴾	النون

(١) البرهان في علوم القرآن،الزركشي، ص ٥٢ .

٧	﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾	النون
٨	﴿ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾	النون
٩	﴿الصَّادِقِينَ﴾	النون
١٠	﴿تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾	الميم
١١	﴿عَظِيمٌ﴾	الميم
١٢	﴿مُّبِينٌ﴾	النون
١٣	﴿ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾	النون
١٤	﴿عَظِيمٌ﴾	الميم
١٥	﴿عَظِيمٌ﴾	الميم
١٦	﴿عَظِيمٌ﴾	الميم
١٧	﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾	النون
١٨	﴿حَكِيمٌ﴾	الميم
١٩	﴿لَا تَعۡلَمُونَ﴾	النون
٢٠	﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	الميم
٢١	﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الميم
٢٢	﴿غَفُورٌ رَّحِيم﴾	الميم
٢٣	﴿عَظِيمٌ﴾	الميم
٢٤	﴿يَعۡمَلُونَ﴾	النون

٢٥	﴿ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾	النون
٢٦	﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	الميم
٢٧	﴿تَذَكَّرُونَ﴾	النون
٢٨	﴿عَلِيمٌ﴾	الميم
٢٩	﴿تَكْتُمُونَ﴾	النون
٣٠	﴿يَصْنَعُونَ﴾	النون
٣١	﴿تُفْلِحُونَ﴾	النون
٣٢	﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾	الميم
٣٣	﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	الميم
٣٤	﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾	النون
٣٥	﴿عَلِيم﴾	الميم
٣٦	﴿الآصَال﴾	اللام
٣٧	﴿وَٱلْأَبْصَارُ﴾	الراء
٣٨	﴿حِسَابٍ﴾	الباء
٣٩	﴿ٱلْحِسَابِ﴾	الباء
٤٠	﴿نُّورٍ﴾	الراء
٤١	﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	النون
٤٢	﴿ٱلْمَصِيرُ﴾	الراء

٤٣	﴿بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾	الراء
٤٤	﴿ٱلْأَبْصَٰرِ﴾	الراء
٤٥	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ قَدِيرٌ﴾	الراء
٤٦	﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾	الميم
٤٧	﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	النون
٤٨	﴿مُّعْرِضُونَ﴾	النون
٤٩	﴿مُذْعِنِينَ﴾	النون
٥٠	﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	النون
٥١	﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	النون
٥٢	﴿ٱلْفَآئِزُونَ﴾	النون
٥٣	﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	النون
٥٤	﴿ٱلْمُبِينُ﴾	النون
٥٥	﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	النون
٥٦	﴿تُرْحَمُونَ﴾	النون
٥٧	﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	الراء
٥٨	﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ۝	الميم
٥٩	﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ۝	الميم
٦٠	﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الميم

٦١	﴿تَعۡقِلُونَ﴾	النون
٦٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	الميم
٦٣	﴿أَلِيمٌ﴾	الميم
٦٤	﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾	الميم

من خلال الجدول الإحصائي السابق نخرج بالنتائج التالية :

تحتوي سورة النور على أربع وستين آية،انتهت فواصلها بخمسة صوامت مكررة مسبوقة بالكسرة الطويلة (الياء) والضمة الطويلة (الواو) وهي النون،والميم،والراء،واللام،والباء،نلحظ أن الفواصل النونية هي الأثيرة في السورة فكانت لها إحدى وثلاثون فاصلة،بلغت نسبتها ٤٨،٤٣٪ من فواصل السورة .

أما الفواصل الميمية فكانت في ثلاث وعشرين موضعاً،بلغت نسبتها ٣٥,٩٪من فواصل السورة .

والفواصل الرائية تكررت سبع مرات،بلغت نسبتها ١١٪،و البائية تكررت مرتين بلغت نسبته،٣,١٪.

بينما اقتصرت الفواصل اللامية على مرة واحدة بلغت نسبتها١،٠٪من فواصل سورة النور . وهذه الأصوات الخمسة هي أصوات شفوية تنطق من الجزء الأمامي لجهاز النطق،ولها وقع نغميووضوح سمعي عال،عند الوقوف عليها،وتحديداً صوتي النون والميم اللذين يعدان أطول الصوامت في العربية ولها ترددات عالية [١].

و " قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحروف المد واللين وإلحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك "[٢].

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ١٤٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج١، ص ٦٨.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس:"وحين نتتبع الفواصل نراها بوجه عام،قد بنيت في السورة الواحدة أو في معظم آياتها على حرف واحد،يتكرر ويتردد مع كل آية،فكأنما هو بمثابة الروي في القوافي الشعرية،فإذا لم يتكرر نفس الحرف،تكرر ما يشبهه من الناحية الصوتية،كالنون والميم "[١] وانتهاء فواصل السورة بهما يتلاءم مع جو التوجيه والإرشاد الممزوجين بالشدة تارة وباللين والرفق تارة أخرى،وذلك لتوسطهما بين الانفجار والاحتكاك،غير أن التقارب المخرجي في النونية والميمية والرائية،يقرب المسافة ويحقق وحدة نغمية تناسب مقاصد السورة في المضمون والموضوعات .

غير أن جلها تنتهي بمقطع مديد الذي يتطلب مدة زمنية طويلة،وذلك تناسب مع جو السورة وتقرير معانيها في النفس،لا سيما أن السورة تجمع موضوعات جليلة ذات أهمية من الأحكام والآداب والحدود والعتاب والحث .

وإذا ما تركت الفواصل من حيث تناسبها الصوتي إلى فواصل السورة بوجه عام وإيقاعها لخرجت باللطائف التالية :

١- إن جانب الإيقاع في الفاصلة ليس مجرد ظاهرة تقوم على التكرار الذي يسير عليه الوزن،بل هو أقرب إلى عدم الانتظام،في كل من جانب التماثل أو التقارب أو التفرد .

٢- أن لكل سورة نغمة أساسية ونغمات ثانوية،وبينهما علاقة تآلف،تقوم بوظيفة بنائية في دمج نسيج السورة المتشابك بشكل كلي،وتعمل على أن تكون ناظماً على حدود الآية بشكل جزئي [٢].

٣-إن الخطاب القرآني لا يضحي بالمعنى من أجل الشكل،بل إن الفاصلة تساهم في تقوية الوشائج المعنوية والجمالية للنص [٣].

---

(١) البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد شرشر، ص ٧٩.

(٢)ينظر، قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن، د .نعيم اليافي، مجلة (التراث العربي) اتحاد الكتاب العرب دمشق، العددان(١٥-١٦)، ١٩٨٤م، ص ١٤٧، ١٤٦.

(٣) ولقد أشار السيوطي بين إلى هذا الارتباط المعنوي بين الفاصلة ومضمون الآية، فينقل عن سابقيه أنهم قالوا: "لا تحسبن المحافظ على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والقوافي ،فأما أن تهمل

٤ –تؤثر الفاصلة على المتلقي،حيث التنوع فيها يجذب ذهنه للتفكر،والأذن تضيق بالصوت الرتيب [١].

٥–حروف فواصل سورة النور (النون،الميم،اللام،الراء) هي أصوات مجهورة،وناسب هذا الجهر الأحكام والآداب في السورة،حيث الفريضة يناسبها الوضوح والجهر،بل إن العلماء من سموها الحروف الرنانة[٢].

التناسب في الأصوات والحروف والحركات :

إن إعجاز القرآن يبدأ من مستوى الصوت ليمتد إلى مستوى النص كله،فوضع الصوت دقيق جداّ حيث لا يمكن أن يغيّر بصوت آخر؛ ليؤدي نفس الدلالة ونفس الإعجاز،"وقد تنبه العلماء لهذه الظاهرة منذ وقت مبكر في زمن الخليل (١٧٥هـ) وسيبويه (١٨٠هـ) ثم جاء ابن جني متأثراً بما ورثه عنهما من إشارات حول المسألة، فبسط فيها القول في بابين من سفره النفيس وهما (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)و(باب إمساك الألفاظ أشباه المعاني) ويبدو أن دعوة ابن جني هذه قد لاقت آذناً صاغية .

"امتاز ابن الأثير بنظرة فاحصة جعلته يقلّب النظر في جزئيات الكلمة القرآنية، فراح يتحدّث عن جمال الأصوات من خلال مصطلح الخفّة أو العذوبة، لكنّه أضاف شيئا آخر، وهو أن الجمال

المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده، غير منظور فيه إلى مؤدّاه فليس من قبيل البلاغة "،الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٣، ص ٣٥٩.

(١)يقول (جويو) :من الأسباب التي تجعل الأذن تضيق بالصوت الرتيب،هو أن الصوت الرتيب يعمل على الأذن على نحو واحد،عمل قطرة الماء في الصخرة إذا وقعت منها دائماً على نقطة واحدة،كذلك التنوع في الصوت يريح الأذن حتى في عملها ينظر : مسائل فلسفة الفن المعاصرة، جان ماري جويو، ترجمة : د. سامي الدروبي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٨م، ص ٦٩.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م، ص ٢١٨.

الصوتي يتعلّق بالصوت، وكذلك بالصّويت، فذكر أن كثرة الحركات الخفيفة تطيب للسمع، وتلذّ في النّطق، وتلك مسألة صوتية دقيقة دلّ بها على ذوقه الرفيع، ورهافة حسّه"[١]

وقد شغلت هذه القضية أذهان اللغويين والنقاد من العرب والمحدثين، فكانوا بين منتصر لها، ورافض، ومعتدل ،ولكل حججه التي تثبت بها نظرته "، ولعل هذا التناسب هو ما يعرف عند المعاصرين بـ" المحاكاة الصوتية " وهو عبارة عن اختيار ألفاظ يوحي صوتها بمعناها[٢].

ومهما تباينت الآراء بشأن العلاقة بين الأصوات ومدلولاتها، فإن من بين النتائج التي توصلت إليها النظريات اللغوية قدراً مشتركاً يؤكد الطاقة لبعض الأصوات نتيجة لتداعيات لا شعورية في معظم الأحيان "[٣] وقد ظهر ذلك بشكل جلي في سورة النور،حيث تنوع الإيقاع فيها،بسبب التناسب بين الأصوات المختارة وبين دلالتها في السياق،حيث أضفت صفات الأصوات جمالاً إيقاعياً، في توزيع حركاتة وسكناته ومدآته وغناته،وما يتولد عن ذلك من لحن عذب تلذ بسماعة الأذان، وترهف بمعانية القلوب.

وقد حاولت تطبيق ذلك في سورة النور من خلال اختيار نماذج شملت مطلع السورة،ومحورها وهي آية المشكاة،ثم خاتمة السورة ؛ لاستعراض هذا السر من أسرار الجمال القرآني في سورة النور .

قال تعالى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النور: ١]

افتتاحها بكلمة (سورة) وهذه الكلمة مأخوذة من معنى الرفعة والشرف وهذه الكلمة (سوره) نكرة وفي كونها نكره إطلاق للفظ يذهب فيه العقل كل مذهب بطلاقة لا حدود لها تتناسب مع تعظيم شأنها ورفعه منزلتها وتفخيم مقامها .

فأصوات الكلمة التي تتألف من (س– و– ر) فإن حرف (س) من صفاته الهمس: الذي هو جريان النفس عند النطق بالحرف مع رخاوة فيها بكمال جريان الصوت وكل ذلك يستشعر

(١)جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، الطبعة: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م ،دار المكتبي ،دمشق،ص ٢٠٧.

(٢)ينظر :معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، وكامل المهندس، مكتبة لبنان ،بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٨٧.

(٣) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز ،الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ص ٢٧٦,٢٧٥.

منة السامع انسياب معاني هذه السورة وسريانه في نفسه وأنحاء عقلة،ثم يأتي حرف (الواو) الذي من صفاته الجهر: الذي يدل على انحباس جريان النفس مع رخاوة هذا الحرف ليستشعر السامع هذه القوه وهذه الوقفة عند أحكام هذه السورة فيأخذها بعين الاعتبار ويمتثل لكل ما جاء فيها من أحكام وآداب وتختم الكلمة بحرف الراء ؛ ليؤكد معنى هذه القوة في الأخذ بالأحكام،فإن اقتران الراء بالواو وهما حرفا جهر أوحى بالتوقف عند أحكام هذه السورة فكما ينحبس جريان النفس بالنطق بالحرف،وتنحبس معه أسباب الرذيلة ويقف المجتمع كله مذعنا لأحكام هذه السورة.

أما عن افتتاحها بمادة (س- و- ر) فإن حروفها مرققه مما يلفت النظر إلى أن شدة الأحكام الخاصة بالزاني والقاذف من جلد لا يفهم من القسوة بل هي عين الرحمة.

وكلمة ﴿فرضناها﴾ فإن حروفها مرققه تتنقل بين التوسط والشدة والتفخيم والترقيق مما يوحى بضرورة التمسك ،وأهمية الأخذ في تطبيق هذه الأحكام بقوة ؛لأن الإخلال بها يخل بنظام المجتمع .

أما عن كلمة﴿ آيات ﴾فإن حروفها (ء- ى- هـ) وهى حروف مرققه فيها معنى الرحمة كما أن في حرف الهمزة والياء المتصفتان بالجهر والانفتاح ما يدل على وضوح هذه الآيات أما عن كلمة بينات،بحروفها (ب- ي- ن) فإن حروفها الثلاثة كلها من حروف الجهر إما يوحى بشدة الوضوح والسطوع ببيان هذه الأحكام،كما أن في كلمة ﴿بينات﴾ من السطوع والوضوح ما يتناسب مع معنى النور الذي تحدثت عنة هذه السبعة،ان وضوح أحكامها وظهورها كظهور النور وشدة سطوعه مع عدم خفائه على أحد.

أما الكلمة المحور،"يقصد بها الكلمات المفاتيح، وهي التي يكون لها ثقل تكراري وتوزيعي في النص بشكل يفتح مغاليقه،ويبدد غموضه،وهي منهجاً مهماً من المناهج الستة للنقد الألسني،وقد أسماها محمد مفتاح (الكلمة المحور) "[١].

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾ [النور:٣٥]

يبدأ هذا التناسب في السورة من اسمها حيث إن "علاقة العنوان بالسورة علاقة ذات مغزى دون شك،بل لقد أوشك أن تصبح دراسات العنوان بوصفه ظاهرة في النص الأدبي علماً له موضوعه وأدواته الخاصة[٢]،بل إن هناك علاقة دلالية مميزة بين النص وعنوانه،وهناك وظائف دلالية يقوم العنوان بأدائها اعتماداً على نمط علاقته بالمتن"[٣].

وقد اتضح ذلك في سورة النور،التي سميت بهذا الاسم ؛لذكر النور فيها،وفي آية المشكاة خاصة،التي تجلى في نظمها ذلك النظام الصوتي البديع،حيث رتبت فيه حروف الكلمات،وقسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعا يجدد نشاط السامع،فقد وزعت في تضاعيف كلماتها حروف المد والغنة والجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط توزيعا متناغما يمتع الأذان مع ترجيع الصوت وتهادى النفس.

(١) الأسلوبية، الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، ص ١٩٣.

(٢) من الجيد البحث ببلاغة العنوان على السور القرآنية وربطها بباب التناسب دراسة نصية .

(٣) المناهج الحديثة في الدرس القرآني، تأليف : أحمد النيفر، رضوان السيد، سامر رشواني، سعاد كويرم، عبدالرحمن الحاج، عبدالرحمن حللي، غانم قدوري الحمد، مسعود صحراوي، معتز الخطيب، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، الناشر : مدارك إبداع، لبنان، بيروت.

نتأمل ذلك كله في الكلمات التالية (نوره – كمشكاة – مصباح – زجاجة – كوكب – درى – يوقد – شجرة – مباركة – زيتونة – شرقية – زيتها – يضيء – تمسسه – نار – يشاء – شيء).

فالمتأمل على مستوى هذه الكلمات يلمح هذا الانسجام المتنوع المتجدد الذي يتنقل فيه السامع بين أسباب وأوتاد وفواصل،ذلك النظام الصوتي البديع في حروف الكلمات وحركاتها.

إن حروف كلمة ﴿نور﴾ توحي للسامع معنى الكلمة وتحددها وتصورها في ذهنه حتى إنه ليتصور مع كل حرف من حروفها عظمة هذا النور بقوة اندفاعه وتكرار شعاعه وانتشاره في كل مكان مع كل حرف ينطق به، بالجهر في النون ،والرخاوة في الواو المدية باتساع مخرجها، ثم التوسط والانحراف والتكرير في الراء مع الاستمتاع بانتقال الصوت مع حركات الحروف من الضم إلى السكون إلى الضم مرة أخرى تنقلاً عذبا.

ولنتأمل كلمة ﴿مشكاة﴾وكلمة﴿المصباح والزجاجة ﴾بعد كلمة ﴿المشكاة﴾ فإن لهما دلالة على جمال وتلألؤ هذا النور ،كما أن المصباح ما هو إلا جسم مصدر للضوء باعث على قوة انتشاره ولمعانة ،نلاحظ هذا التناغم الصوتي غاية في الانسجام يتناسب مع معنى النور المتنقل بين الاسترسال ثم الانعكاس، فكما أن أصوات الحروف وحركاتها تتنقل بين الجهر والهمس والشدة والرخاوة والتوسط وبين الفتح والكسر والسكون والضم كذلك فإن النور يتنقل بين انطلاق شعاعه وانعكاسه فإن وقع الحروف الرخوة أكثر دلالة على انتشار النور ووقع حروف الشدة أكثر دلالة على قوة انبعاث النور، توحي بالاطمئنان الذي يورثه الإيمان ونور القران.

ويتناسب الصوت والحرف والحركة في خاتمة السورة في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: ٦٤]

إذ جاءت الحركات الأربع (ألا الاستفتاحية –إن التوكيدية –تقديم شبة الجملة –قد التي للتحقيق)إعلان أن الله تعالى ملك ومالك السموات والأرض،وأن علم الله –سبحانه وتعالى–

محيط بكل شيء، فهي تأكيد وتنبيه للغافل عن هذه الأحكام، حيث غلب على حروف هذه الآية الصوت المرقق الذي يتناسب مع بيان قدرة الله سبحانه وتعالى ،وعلمه المحيط بكل شيء وأن إلية يرجع الأمر كله [١].

(١) دراسة الصفات للحروف كان من كتاب الأصوات اللغوية والأداء القرآني، عيد الطيب، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ص ٥٣-٧٠-بتصرف-.

(المبحث الثاني)

التناسب في توجيه القراءات الواردة في السورة:

لقد أثرت القراءات تأثيراً واضحاً في تناسب سورة النور،وساهمت في تناغم الأصوات والمعاني حيث تركت كل قراءة تناسباً فريداً وتلاحماً بين اللفظ والمعنى والحركة .

ففي قوله تعالى ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ [النور:١]

في قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ يقرأ بتشديد الراء وتخفيفها،والحجة لمن شدد أنه أراد بيناها وفصلناها،فرائض مختلفة وآداباً مستحسنة ،قال الفراء : وجه التشديد أن الله تعالى فرضه عليه وعلى من يجيء بعده،فلذلك شدده والحجة لمن خفف : أنه جعل العمل بما أنزل في هذه السورة لازماً لجميع المسلمين،لا يفارقهم أبداً ما عاشوا فكأنه مأخوذ من (فرض القوس) وهو الحز لمكان الوتر .[1] "(وفرضناها) قرئ بتخفيف الراء،أي فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الأحكام وبالتشديد: أي أنزلنا فيها فرائض مختلفة.

وقرأ أبو عمرو: ﴿وفرضناها﴾ بالتشديد، أي قطعناها في الإنزال نجما نجما،والفرض القطع،ومنه فرضة القوس،وفرائض الميراث وفرض النفقة.

وعنه أيضا: ﴿فرضناها﴾ فصلناها وبيناها وقيل: هو على التكثير،لكثرة ما فيها من الفرائض "[2].

ومن هنا يتضح تناسب كلتا القراءتين مع موضوعات السورة من فرضية الآداب والتزام جميع المسلمين بها .

---

(١) الحجة في القراءات السبع للأمام ابن خالوية، عبد العال سالم مكرم، مطبعة عالم الكتب في القاهرة، ٢٠٠٧ م.، ص ٢٦٠ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٢، ص ١٥٨.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١﴾ [النور: ٢١]

" قرأ الجمهور: ﴿ مَا زَكَىٰ ﴾بتخفيف الكاف،أي ما اهتدى ولا أسلم ولا عرف رشدا،وقيل: ﴿ مَا زَكَىٰ ﴾ أي: ما صلح،يقال: زكا يزكو زكاء،أي صلح،وشددها الحسن وأبو حيوة،أي أن تزكيته لكم وتطهيره وهدايته إنما هي بفضله لا بأعمالكم"(١)، ففضل الله ورحمته شملت عباده في كلتي القراءتين .

فلولا فضله لما رشد أحدهم بعد ذلك الذنب العظيم،ولولا فضله كذلك،ما تطهر أحدكم من ذنوبه بعد خوضه في شرف بيت النبوة،ناسبت أيضاً شمولية فضل الله ورحمته لكل العصاة، ففضل الله ورحمته وسعت كل شي،فعليهم التوبة والمسارعة فيها .

﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٢﴾ [النور: ٢٢]

قرأ يعقوب من رواية البخاري ﴿ولتعفوا ولتصفحوا ﴾ بالتاء، وقرأ الباقون ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾ بالياء، وتخريج قراءة ﴿ولتعفوا ولتصفحوا ﴾أنه جيء به بتاء الخطاب،توافقاً مع ما بعده من قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ فكان أكثر تآلفاً وانتظاماً .

ويكون الالتفات بالتاء عن قوله: ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ ﴾ أكثر وأبلغ في التأثير أن يرجع المخاطب عن عزمه في قطع الخير عن القرابة .

وتخريج قراءة ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾أنه جيء بياء الغيبة،مراعاة لمشاعر المخاطب،وليكون أخف وقعاً عليه،وذلك لجلال قدره – رضي الله عنه – إن لوحظ في ذلك سبب النزول . وليعفوا

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج ١٢، ص ٢٠٧.

عما فرط منهم، وليصفحوا : بالإغضاء عنه وكان أبو بكر –رضي الله عنه– سريع التجاوب مع الخطاب (١).

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤]

"وقرأ الأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف: ﴿يشهد﴾ بالياء،واختاره أبو عبيد؛لأن الجار والمجرور قد حال بين الاسم والفعل،والمعنى: يوم تشهد ألسنة بعضهم على بعض بما كانوا يعملون من القذف والبهتان،وقيل: تشهد عليهم ألسنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به"(٢)، ويقرأ بالتاء والياء،والحجة لمن قرأه بالياء.

قال :اللسان مذكر،فذكرت كما يذكر الفعل كما أقول : يقوم الرجال،والحجة لمن قرأ بالتاء أنه أتى به على لفظ الجماعة،واللسان يذكر فيجمع (ألسنة) ويؤنث فيجمع ألسن (٣) .

وهذا متناسب مع معنى الآية،أن شهادة الجوارح يوم القيامة أمر عظيم،سواء كان بصيغة المفرد أو الجمع .

ويحسن بي أن أختم هذا المبحث بالتناسب النصي بين سورة النور وغيرها من سور القرآن الكريم، حيث تتلاحم سور القرآن كتلاحم البنيان يشد بعضه بعضاً،فجمع الله القرآن في سورة الفاتحة،ثم جاءت سورة البقرة وفصلت بإجمال ما جاء في سورة الفاتحة،ثم تتابعت السور ترتبط وتتناسب فيما بينها "قال الحسن البصري: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتبٍ من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة ،والإنجيل ،و الزبور ،والفرقان، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان،ثم أودع علوم القرآن المفصل،ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب،فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة،ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان "(٤).

---

(١) الشامل في القراءات العشر، عبد القادر محمد منصور، دار الرفاعي، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص ٤١٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص ٢١٠.

(٣)المصدر نفسه.

(٤) الكشف والبيان ، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م الطبعة : الأولى، تحقيق : محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ج ١، ص ٩١ .

فالقرآن الكريم تترابط آياته،وموضوعاته ترابطاً كلياً،ثم تفترق في بعض الموضوعات التفصيلية،فكلام الله تعالى منزه عن سوء الترابط والترتيب،ومن هذا تتناسب سورة النور وسورة البقرة في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨ ﴾ [البقرة:٢٠٨]

فقد تناسبت مع بعض موضوعات سورة النور وهي:

١- الدعوة إلى طاعة الله تعالى[1] ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤ ﴾ [النور:٥٤]

٢- النهي عن اتباع خطوات الشيطان،والنهي عن الوقوع في فحش القول والفعل قال تعالى في سورة النور ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١ ﴾ [النور:٢١]وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩ ﴾ [النور:١٩].

٣- الابتعاد عن الزلل،وبيان حكم ذلك ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣ ﴾ [النور:٦٣].

أما في سورة النساء فتناسبت نصياً مع سورة النور في معنى القذف حيث دلت على عموم الإثم في سورة النساء في قوله تعالى ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢ ﴾[النساء:١١٢]

يقول ابن عاشور: "والرمي حقيقته قذف شيء من اليد،ويطلق مجازاً على نسبة خبر أو وصف لصاحبه بالحقّ أو الباطل،وأكثر استعماله في نسبة غير الواقع،ومن أمثالهم «رَمَتْنِي بِدائها وانْسَلَّتْ» وقال تعالى : ﴿ والذين يرمون المحصنات ﴾ [النور : ٤]

---

(١) كما فسر ذلك ابن كثير لمعنى (السلم) قال الضحاك، عن ابن عباس، وأبو العالية، والربيعُ بن أنس: { ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ } يعني: الطاعة" ج ١، ص ٥٦٥.

وكذلك هو هنا،ومثله في ذلك القذف حقيقة ومجازا "[١] .

وفي سورة النور "﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النور:٦]

أما ذكر الأمر بالشهادة[٢] [٣]فقد تعددت مواضعها في أكثر من سورة من سور القرآن :

١-في سورة البقرة،الأمر في الشهادة في آية الدين،قال تعالى ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٢- وفي سورة هود الأمر بالشهادة للبراءة من الشرك،قال تعالى﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [هود: ٥٤]

٣-في سورة الطلاق الأمر بالشهادة في الطلاق،قال تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ﴾ [الطلاق: ٢]

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور: ٢] يقول الرازي: "أن الله سبحانه ذكر في القرآن أنواع المعاصي من الكفر والقتل والسرقة ولم يستقص في أحكامها كما استقصى في بيان أحكام الزنا ألا ترى أنه تعالى نهى عن الزنا بقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزّنَىَ﴾ [الإسراء ٣٢] ثم توعد عليه بالنار كما في كل المعاصي، ثم ذكر الجلد ثم خص الجلد بوجوب إحضار

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، جزء ١٨، ص ١٣٠ .

(٢) وإن اختلف حكم الشهادة وشروطها بين السور، إلا أن المعنى المعجمي واحد، فالعبرة بعموم اللفظ .

(٣) شَهِدَ شهادة ومنه قوله تعالى ﴿شهادَةُ بينِكم إذا حضر أَحدَكم الموتُ حين الوصية اثنان ﴾أي الشهادة ... والشهادة خبر قاطع تقول منه شهد الرجل على كذا وربما قالوا شهد الرجل بسكون الهاء للتخفيف عن الأخفش وقولهم اشْهَدْ بكذا أَي (احْلِف) لسان العرب، ابن منظور ،مادة : شهد .

المؤمنين ثم خصه بالنهي عن الرأفة عليه بقوله و﴿لاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ "[١]، كما في سورة النور .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع ،أن هناك تناسباً نصياً عرجت عليه في التمهيد عند الحديث عن التناسب بين سورة النور وما قبلها وما بعدها[٢]، وهذا يثبت أن القرآن الكريم ،بنية كلية واحدة، تنسجم سوره فيما بينها من مداخل متعددة، فقد تحكم اللغة، أو المعنى، أوالإيقاع، والسياق الأصغر للآية مواطن التناسبوالاتساق أو الاختلاف في الآية من خلال السياق الأكبر والذي عنونته"بالتناسب النصي " .

(١) مفاتيح الغيب، الرازي، ج٢٣، ص١١٧.

(٢) ينظر: ص ٢٣,٢٢ من الرسالة .

الخَـــاتِمـة

الخـَاتمـــة:

بعد أن انتهيت من رحلتي في هذا البحث، الذي عني بدراسة التناسب في سورة النور دراسة أسلوبية، تنقلت فيها بين كتب التفسير، وكتب البلاغة، وكتب متخصصة في المنهج الأسلوبي، وقفت فيها على أهم جوانب التناسب والتماسك في السورة خرجت لعدة نتائج :

- إن علم المناسبة هو أقرب العلوم إلى لسانيات النص، لاسيما أنه يكشف التناسب والانسجام بين الآيات بنظرة كلية للنص القرآني، دون إهمال للبنية الداخلية للنص .
- أن عنوان السورة (النور) ترك تناسباً وأبعاداً معنوية دلالية ،شملت السياق الداخلي والخارجي للسورة .
- جاءت الألفاظ في سورة النور لتنظيم العلاقات الاجتماعية، وصيانة العفاف، سواء على مستوى الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع بأكمله، فنجدها محملة بإشراقات نفسية، جمعت بين الشدة تارة، واللين تارة أخرى، تعكس المواقف التي تعبر عنها وعن حساسيتها في بناء أو هدم ذلك المجتمع .
- تعد المفردة القرآنية في السورة إحدى مظاهر الجمال فيها، فهي منتقاة بدقة متناهية في موقعها وفي ظلها الخاص، متعاضدة مع السياق في استلهام المعاني، كما في لفظة النور وغيرها من الألفاظ .
- أثبت البحث أن الانزياح في سورة النور بكافة صوره، تقديماً وتأخيراً والتفاتاً،واستعارة ومجازاً وحذفاً، اعتمده النص القرآني؛من أجل التأثير في نفس المتلقي .

يقتضي خروج التراكيب عن مقتضى الظاهر ،أو على خلاف ما يتوقعه المتلقي في ترتيب عناصر الجملة، ترابطاً نصياً له دلالاته المعنوية العميقة في نفس المتلقي .

- يتسم الوصل والفصل في سورة النور، بصلته الوثيقة بالسياق العاموأنه جاء متناسباً مع جو السورة العام، وأنه ذو علاقة أسلوبية تربط بين التراكيب والأجزاء وبين المضمون الفني والمضمون الديني للآيات .

- جاءت الصورة الفنية في سورة النور على هيئة شاخصة، جعلت النص منفتحاً على الدلالات الإيحائية التي تحمل المتلقي على الإيمان والإقتناع .
- اعتمد التصوير في سورة النور على مبدأ التقابل ؛ لأن التقابل الصوري الفكرة، ويزيد من انسجام النص وتماسكه .
- من خلال هذه الدراسة تبين لي أن عنصر الإيقاع في سورة النور لم يقتصر على إضفاء اللمسة الجمالية في السورة ،بل يتجاوزها إلى التماسك النصي والثروة المعنوية والأبعاد الدلالية والنفسية على المتلقي .
- تمثل الفاصلة القرآنية أقصى درجات التوازي في سورة النور، مع القيمة الدلالية التي تكشف الكثير من الخفاياو المعاني والدلالات، كما أن غلبة(صوت النون) على فاصلة السورة أثرى الجانب الدلالي والمعنوي في السورة .
- كشفت الدراسة أن بعض الألفاظ في السورة، على قدرات صوتية تحاكي الموقف النفسي وتمثله، من خلال مخارج الأصوات، وصفاتها،فيمتد هذا الأثر على السياق بإشارات نفسية ،تساعد على تصوير الخفايا النفسية للنماذج الإنسانية في السورة .

هذه بعض أهم ما توصل إليه البحث من نتائج وهناك نتائج أخرى ذكرتها في ثنايا البحث في نهاية كل فصل على حده .

وأخيراً فمن التوصيات التي رأيت من خلال هذه الدراسة تقديمها :

- أوصي بدراسة التناسب في دلالة العنوان للسور القرآنية دراسة نصية، لاسيما أن له دلالة داخلية وخارجية على البنية الكلية للنص القرآني، مع الجمع بين النظرة التراثية والمعاصرة في ذلك العنوان .
- كما أوصي بدراسة الإشارات النفسية في آيات العفاف في القرآن الكريم دراسة أسلوبية بلاغية، مع توظيف نظرية التلقي في هذا الموضوع ؛ لما تظهر خفايا تكمن في النص لا تظهر بالسياق الظاهر .

وأخيراً أحمد الله جل وعلا أنْ وفقني لإتمام هذا البحث، وأنْ منَّ عليَّ بصحبة هذه السورة المباركة، طيلة أيام البحث، ولا حرمني بركته .فالحمد لله أولاً وأخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الآيات

السورة	الآية	رقم الصفحة
البقرة	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾	٦
البقرة	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾	٣٥
البقرة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾	١٥٥
البقرة	﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾	١٥٦

النساء	﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾	١٥٦
المائدة	﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾	٧٩
هود	﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾	٣
هود	﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾	١٥٦
الحجر	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾	٣١-١١٧
المؤمنون	﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾	٢١
المؤمنون	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ ﴾	٢١
المؤمنون	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ	٢١

	﴿إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾	
المؤمنون	﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾	٢٢
المؤمنون	﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾	٢٢
النـــور	﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾	٣١-٦٩-٧١-٧٣-٨٣- ١٤٨-١٥٢
النـــور	﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾	٢١-٣٣-٧٢-٧٣-٧٩- ١٢٢-١٥٦
النـــور	﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾	٨٠-١٢٢
النـــور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ	٣٧-٣٩-٧٠-٧٢-١٢٥-

	تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ	١٣٤-١٥٦
النـــور	﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾	٤٠-١٣٤
النـــور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾﴾	٤٠-٧١-٧٢-١٥٦
النـــور	﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾﴾	٤١-٧٢
النـــور	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾	٨٤
النـــور	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾	٢٥-٤١-٧٦-٨٦-٨٩-١٠١
النـــور	﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ	٤٣-٧٠-٩٧-١٠١

	﴿بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾	
النـــور	﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾	٧٢-١٠٢
النـــور	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾	٤٤-٦٩-٨٤-١٠٢- ١٠٤-١٣٦
النـــور	﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾	٤٥-٧٠-١٠٢-١٢٣- ١٣٦
النـــور	﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾	٤٥-١٠٢-١٣٦
النـــور	﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾	٤٦-١٠٢

النـــور	﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾	٧١-١٠٢
النـــور	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾	٤٦-٧٤-٨٠-١٠٠-١٠٢-١٠٥-١٢٨-١٥٥
النـــور	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾	٨٤-١٠٢
النـــور	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾	٤٧-٨٧-١٢٥-١٥٣-١٥٥
النـــور	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾	٤٩-١٥٣

النـــور	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾	٥٠-٧١-٧٣-١٢٤-١٢٩
النـــور	﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٤﴾	٥١-٧٢-٨١-١٥٤
النـــور	﴿يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ٢٥﴾	٥١
النـــور	﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٢٦﴾	٥٢-٩٣-١٠٩
النـــور	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧﴾	٥٢
النـــور	﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾	٧٨-٨٧-١٢٠

النـــور	﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾	٨١-٧٣-٥٣
النـــور	﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾	١٠٩-٩٠-٥٤

النـــور	﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾	١١١-٥٥
النـــور	﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾	١١١-٥٦
النـــور	﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾	١١٧-٧١
النـــور	﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ	٢٣-٢٥-٥٨-٦٩-١١٥-١٤٩

	مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾	
النـــور	﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾	٢٥-٥٩-١٣٥
النـــور	﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾	٦٠-١٢٩
النـــور	﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾	٧٩-٨٨
النـــور	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾	٢٥-٦٠-١١٨

النـــور	﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾	٢٥-٦١-٦٩-٨٦-١٢٠
النـــور	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾	٦١
النـــور	وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾	٧٨-٩٤
النـــور	﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾	٦٢-٧١
النـــور	﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾	٦٣-٨٩-١٣٤
النـــور	﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا	١٣٤

	﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾	
النـــور	﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾	١٣٤
النـــور	﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾	١٢٦
النـــور	﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾	٦٣-٨٩-٩٣
النـــور	﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾	٦٤-١٠٨
النـــور	﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾	١٠٧
النـــور	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ	٦٤-٧٢-٧٧-٩٣-٩٨-١٥٥-١٥٦

	﴿ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾	
النـــور	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾	٩٨-٨١-٦٤
النـــور	﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾	١٠٨-٩٦
النـــور	﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾	١١٢
النـــور	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ	٦٦-٦٥

	ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٨﴾	
النـــور	﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٩﴾﴾	٧٢
النـــور	﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٦٠﴾﴾	٦٦
النـــور	﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ	٧٢

	بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾	
النـــور	﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾	١٥٥-٦٧
النـــور	﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ	١٥١-٦٧-٢٦

	﴿٦٤﴾	
الفرقان	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾	٢٢
الفرقان	﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾	٢٢
السجدة	﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾	١٦
السجدة	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾	١٦
فصلت	﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾	٢-١٣٢
الفتح	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴿٢٩﴾﴾	٣٦
	﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ	١٥٦

الطلاق	فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَدَةَ لِلَّهِ ﴿٢﴾	

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي- بيروت .

- أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام — القاهرة .

- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي — جدة.

- إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف - مصر، ط الخامسة ١٩٥٤ م.

- الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، شركة الفجر العربي -بيروت.

- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعد القزويني، دار إحياء العلوم — بيروت، ط الرابعة .

- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر،، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب – بيروت، ١٩٦٨م .

- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الإصبع المصري، تقديم وتحقيق :حنفي محمد شرف،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة– ١٤١٦هـ/١٩٩٥ م .

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

- تناسق الدرر في تناسب السور، للإمام جلال الدين السيوطي،تحقيق: الدكتور السيد الجميلي،مطبعة دار الهلال – بيروت، ط ٢٠٠٠م.

- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية لبنان – بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، مطبعة دار القلم – الكويت.

- تفسير القرآن العظيم، المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق : محمود حسن، دار الفكر، ط الجديدة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عيها: محمد خلف اللهود. محمد زغلول سلام، دار المعارف – مصر، ط الثالثة.

-جامع البيان عن تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق:أحمد محمد شاكر،١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، الناشر : مؤسسة الرسالة.

- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .

- الحجة في القراءات السبع للأمام ابن خالوية، تأليف : عبد العال سالم مكرم، مطبعة عالم الكتب – القاهرة، ط ٢٠٠٧ م.

- حسن التوسل إلى صناعة الترسل، شهاب الدين محمود الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف.

- الدر المنثور، المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت .

- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق : د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق :علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١٤١٥ هـ.

- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي،، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، ط ١٤٠٤هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني،دار ابن كثير –بيروت، ط١٤١٤هـ.

- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق – القاهرة، ط ١٤١٢ هـ.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط الثانية.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م .

- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية — لبنان، بيروت.

- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ،ابن رشيق القيرواني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع، بيروت.

- كتاب سيبويه، المؤلف : أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة. ط الثالثة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- الكشف والبيان، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان، ط ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م.

- لسان العرب، جمال الدين، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت.

- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، علق عليه : محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط الثانية١٩٨١م.

- مجاز القرآن، عز الدين بن عبد السلام، تحقيق : محمد مصطفى بن الحاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية — ليبيا، ط ١٩٩٢م.

- مجمع الأمثال ،أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة –بيروت.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطيه الأندلسي، دار ابن حزم، ط ١٤٣٢هـ/٢٠٠٢م.

- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ،ط الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية — بيروت، لبنان، ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة .

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجنّي، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، مكتبة السوادي — جدة .

- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط ١٣٠٢هـ.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الدائم البكري النويري دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة، ط ١٤٢٣هـ.

ثانياً:المراجع :

- اتجاهات البحث الأسلوبي، شكري عياد، الناشر : مكتبة زهراء الشرق، ط: الأولى، سنة ١٩٩٨هـ .

- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، المجلد السابع.

- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي — جدة.

- أسلوبية الانزياح في النص القرآني، أحمد غالب الخرشه، الأكاديميون للنشر والتوزيع _ عمان، الأردن، ط ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م .

- إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.

- الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، دار المسيرة – عمان، الأردن، ط الثانية ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

- الأسلوبية والأسلوب، عبدالرحمن المسدي، الدار العربية للكتاب– تونس، ط الثالثة ١٩٨٢م.

- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، محمد أحمد يوسف القاسم،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

- الأصوات اللغوية والأداء القرآني، عيد الطيب، دار أصداء المجتمع للنشر والتوزيع، ط الرابعة ١٤٢٥هـ .

- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط الخامسة ١٩٨٤م .

- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط السابعة عشر ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، ط ١٩٩٢م.

- البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان، ط ١٩٩٨م.

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ط بغداد .

- بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منير سلطان، منشأة المعارف المصرية –الإسكندرية، ط ١٩٩٨م

- البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان، الأردن، ط الحادية عشر ٢٠٠٧م.

- البلاغة فنونها وأفنانها، تأليف : د فضل حسن عباس، دار الفرقان – عمان، ط السابعة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- البناء الصوتي في البيان القرآني، محمد شرشر، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، ط ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م.

- البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لا شين، دار الفكر العربي، ط الثانية ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- تفسير سورة النور، أبو الأعلى المودودي ،دار ابن قتيبة، الكويت.

- التفسير الإعلامي لسورة النور، خالد إبراهيم الفتياني، دار طوباس للنشر والتوزيع.

- التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية – إيران .

- التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم القرآني، أحمد ابو زيد، منشورات كلية الآداب في الرباط، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء.

- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، سوريا، ط ٢٠١٠م.

- جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، ط: الثانية، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩م ،دار المكتبي دمشق.

- الخطاب والمترجم، باسل حاتم، وإيان ميسون، ترجمة :د عمر فايز عطاري، ط جامعة الملك سعود – الرياض، ط١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

- دلالات التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة – القاهرة، ط الثانية ١٤٠٨هـ/ ١٩٧٨م.

- الفاصلة القرآنية، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، ط١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار– الأردن، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

- في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية : آفاق جديدة، سعد مصلوح، عالم الكتب، –القاهرة، ط الثانية ٢٠١٠م .

- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي – المغرب، الدار البيضاء، ط الثانية .

- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،ضياء الدين بن الأثير، تحقيق بدوي طبانهوأحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، ط الثانية.

- مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت ديبو جراند،وولفانج دريسلر)، ترجمة إلهام أبو غزالة وعلي خليل أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط الثانية ١٩٩٩م.

- مسائل فلسفة الفن المعاصرة، جان ماري جويو، ترجمة : د. سامي الدروبي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر — القاهرة، ط ١٩٤٨م.

- معاني النحو، فاضل السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد بيت الحكمة.

- المعاني في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين ،دار الفكر العربي.

- المناهج الحديثة في الدرس القرآني، تأليف : أحمد النيفر، رضوان السيد، سامر رشواني، سعاد كويرم، عبدالرحمن الحاج، عبدالرحمن حللي، غانم قدوري الحمد، مسعود صحراوي، معتز الخطيب،، الناشر : مدارك إبداع —بيروت، لبنان، ط ٢٠١١م .

- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق - القاهرة، ط ٢٠٠١م.

- النص والخطاب والإجراء، دي بو جراند، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب - القاهرة، ط ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

- النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)فان دايك، ترجمة : عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء —بيروت، ط ٢٠٠٠م .

ثالثاً: المجلات العلمية

- قواعد تشكيل النغم في موسيقى القرآن، د .نعيم اليافي، مجلة (التراث العربي) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العددان (١٥-١٦)، ١٩٨٤م .

- نحو آجرومية للنص الشعري (دراسة في قصيدة جاهلية)، سعد مصلوح، مجلة فصول، المجلد العاشر، العدد الاول والثاني، ١٩٩١م.

رابعاً:الرسائل الجامعية

- التناسب في سورة البقرة، إعداد: الطالب طارق مصطفى محمد حميدة، إشراف:الدكتور حاتم جلال التميمي، بكالوريوس أصول الدين من الجامعة الأردنية، عمان، قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة، عمادة الدراسات العليا، جامعة القدس،١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

خامساً: الشبكة العنكبوتية

- أسوار العفاف، د عصام العويد ،ملتقى أهل التفسير.

http://vb.tafsir.net/tafsir/#.VsAY٢٤٠٤٤vlYrIU٠.

- جمالية الحذف من منظور الدراسات الأسلوبية، محمد ملياني، منتدى الكلمة للدراسات والبحوث. http://kalema.net/v?rpt=١&art١٠٧٩.

- مظاهر الافتراق الأسلوبي بين القرآن والحديث، د. خليل محمد أيوب، موقع الألوكة الشرعية. http://www.alukah.net/sharia/٠/٦٨٠٢٥/.

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
المُـقدِمـة	٣
أهمية الموضوع .	٤
أسباب اختيار الموضوع.	٤
أهداف دراسة الموضوع.	٥
الدراسات السابقة للموضوع.	٦
منهج البحث.	٧
خطة البحث .	٧
التَمهـيّد	١٠
التناسب لغة واصطلاحاً.	١٠
التناسب عند المفسرين .	١٠
التناسب عند البلاغيين .	١٦
التناسب عند علماء الإعجاز.	١٨
التناسب عند المعاصرين .	١٩
التناسب في الدراسات المترجمة.	١٩
التناسب بين سورتي النور والمؤمنون.	٢١
التناسب بين سورتي النور و الفرقان .	٢٢
التناسب بين اسم السورة وموضوعاتها.	٢٣
التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها .	٢٦
الفصل الأول : **التناسب الأسلوبي في سورة النور ودوره في تماسك النص.**	

المبحث الأول :التناسب في اختيار الألفاظ .	٢٩
المبحث الثاني :التناسب بين الجملة في سورة النور.	٧٥
مفهوم الانزياح .	٧٥
المطلب الأول :التناسب في التقديم والتأخير.	٧٦
المطلب الثاني :الحذف والتناسب.	٨٢
المطلب الثالث:الانزياح الصرفي.	٩٠
المطلب الرابع :القصر.	٩٢
المطلب الخامس :انزياح الخطاب في الجملة.	٩٥
الالتفات .	٩٥
المبحث الثالث : التناسب بين الجمل في سورة النور .	١٠١
المطلب الأول :التناسب في الوصل والفصل.	١٠١
المطلب الثاني :التناسب بين الإيجاز والإطناب.	١٠٧
الفصل الثاني : **التناسب في أساليب التصوير الفني في السورة.**	١١٥
المبحث الأول :الانزياح التشبيهي.	١١٥
المبحث الثاني :الانزياح المجازي .	١٢٢
المبحث الثالث:الانزياح الاستعاري.	١٢٤
المبحث الرابع :الانزياح الكنائي.	١٢٧
الفصل الثالث : **التناسب الإيقاعي في السورة.**	

المبحث الأول :التناسب في الفواصل والأصوات والحروف والحركات.	١٣٢
التناسب في الفواصل.	١٣٢
التناسب في الأصوات والحروف والحركات.	١٤٧
المبحث الثاني : التناسب في توجيه القراءات الواردة في السورة.	١٥٢
الخـاتمـة	١٥٩
فهرس الآيات	١٦٢
المصادر والمراجع	١٧٩
فهرس الموضوعات	١٨٧